البيئة الحيوانية في تاريخ فوشيه الشارتري
(١٠٩٧ – ١١٢٧م / ٤٩٠ – ٥٢١ هـ)

إعداد

د/ محمود محمد كامل

مدرس بقسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة أسيوط

المقدمة:

يتناول هذا البحث بالدراسة زاوية مهمة من كتاب المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres، وتتمثل في ملاحظاته الجيدة فيما يتعلق بالبيئة الحيوانية وأصناف الحيوانات التي شاهدها فى بلاد الشام، وتلك التي لم يشاهدها، واستقى معلوماته عنها من كتابات الكتاب الكلاسيكيين. وفي هذا السياق سنعرض للمدلول الاقتصادى والاجتماعى والثقافي المتعلق بوجود هذه الحيوانات في بلاد الشام، وبخاصة فى فلسطين، التي قضى فيها فوشيه جزءاً كبيراً من حياته.

بداية ستعرض الدراسة للتعريف بالمؤرخ فوشيه الشارتري، ومنهجه في الكتابة، وميوله التي أبداها تجاه علم الحيوان والتعرف على البيئة الحيوانية للمنطقة فى عصر الحروب الصليبية. تلك الميول التي لم تظهر عند غيره من المؤرخين اللاتين المعاصرين واللاحقين. وقد تحدث فوشيه عن قسمين من الحيوانات، هما: الحيوانات الأسطورية والحيوانات الحقيقية. أما الحيوانات الأسطورية فليس هنا مجال دراستها. وبالنسبة للحيوانات الحقيقية فستتناولها الدراسة من حيث تقسيم هذه الحيوانات، ومناطق وجودها ثم آثارها الاجتماهية والاقتصادية على سكان فلسطين وجيرانها في ذلك الوقت.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تعرض للتوجهات الحضارية لبعض الصليبيين واهتمامهم بالبيئة الطبيعية لبلاد الشام، وخاصة من جانب مثقفيهم من أمثال فوشيه الشارتري. والاهتمام بالبيئة الطبيعية للمنطقة من شأنه أن يخدم الكيان الصليبي القائم هناك، حيث يقدم معلومات متعددة ومختلفة عن طبيعة البيئة الحيوانية لبلاد الشام بما يدعّم الناحية الاقتصادية لهذا الكيان. كما أن دراسة كائنات بعينها، كالجراد، والتي تؤدي زيادة تكاثرها إلى كوارث طبيعية، يوفر معلومات قيمة للحفاظ على الأمن الاقتصادى ومن ثم الأمن الاجتماعي للصليبيين في الشرق. وأخيراً، توضح الدراسة الاهتمام الكلاسيكي عند فوشيه، ومدى تأثره بالكتاب الكلاسيكيين، وبخاصة المهتمين منهم بدراسة البيئة الطبيعية من حيوانات ونباتات.

كما لاقت هذه الدراسة بعض الصعوبات، أهمها: عدم وجود مصادر لاتينية تناولت الحديث عن البيئة الطبيعية أو حتى أبدت اهتماما بتصنيف ودراسة حيوانات فلسطين في ذلك العصر. وعلى الرغم من وجود مؤلفات مثل كتاب "الحيوان" للجاحظ[١]، وكتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميري[٢]، فإن هذه المؤلفات قد تناولت المملكة الحيوانية بصفة عامة، ولم تحدد تحديداً إقليمياً معيناً لدراسة هذه الحيوانات. وهناك صعوبة أخرى تمثلت في استعراض فوشيه لبعض الحيوانات مع عدم تحديد أماكن وجودها. أما الصعوبة الثالثة فهى الاختلاف في أسماء بعض الحيوانات قديماً وحديثاً، فالاسم الذي يورده فوشيه لحيوان ما يختلف أحياناً عن الاسم العلمي الحديث لذلك الحيوان. وهناك صعوبة أخرى تمثلت في السذاجة العلمية التي استعرض بها فوشيه بعض هذه الحيوانات؛ كأن يقول بأن "الجرذان قبضت على مؤخرة ثور فقتلته"[٣]. وهل يعقل أن تقتل الجرذان ثوراً. أو كأن يقول: "حضرت التماسيح من نيل مصر إلى فلسطين بالخداع والمكر"[٤]. وأخيراً لم يتبع فوشيه منهجاً معيناً في ترتيبه للحيوانات. فأكثر من استعراض أصناف من الحيوانات في أواخر الكتاب الثالث وبعض المواضع القليلة من الكتاب الأول. في حين لم يورد أي اهتمام بعلوم الطبيعة في الكتاب الثاني. الأمر الذي شكل صعوبة فى السعي وراء فوشيه لاستنباط المعلومات عن الحيوانات المختلفة.

وفوشيه الشارتري مؤرخ فرنسي شارك فى الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥ – ١٠٩٩م/ ٤٨٨ – ٤٩٢هـ). وقد ولد فى فرنسا حوالي عام ١٠٥٨م/٤٥٠هـ. ومن المحتمل أن وفاته كانت عام ١١٢٧م/٥٢١هـ[٥]. ومن المحتمل أيضاً أنه تلقى تعليماً دينياً. وفي عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ تم ترسيمه قسيساً لبلدوين البويوني Baldwin of Bouillon[٦] أثناء مرافقته له في الحملة الصليبية الأولى. وظل فوشيه في خدمة بلدوين حتى بعد توليه حكم مملكة بيت المقدس من سنة ١١٠٠م/٤٩٣هـ حتى سنة ١١١٨م/٥١٢هـ. وبعد وفاة بلدوين يبدو أن فوشيه قد تفرغ لإكمال كتابه، حيث كان قد جاوز الستين من عمره آنئذٍ. ويبدو أنه ظل مقيماً في القدس حتى وفاته[٧]، حيث لم ترد أي إشارة تفيد بأنه عاد إلى الغرب.

أما مصادر فوشيه فيمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم اعتمد فيه على مؤلفات مؤرخين لاتين آخرين، وشمل الفترة من عام ١٠٩٧م حتى عام ١٠٩٩م، أى فترة حصار وسقوط أنطاكية ثم القدس. وقسم كان فيه فوشيه شاعد عيان لما كتب، وشمل الفترة من عام ١١٠٠م حتى عام ١١٢٧م[٨]. أما فيما يتعلق بمصادره عن حيوانات المنطقة، فقد اعتمد على الملاحظة الشخصية والمشاهدة المباشرة لبعض الحيوانات، وبعض الحيوانات الأخرى اعتمد فى وصفها على التراث الكلاسيكي، وخاصة كتابات المؤرخ والنحوي الروماني سولينوس Solinus[٩].

ويدرك فوشيه أهمية التاريخ، ويؤكدعلى ضرورة تدوين أحداثه. وهو مقتنع بأن التكرار يصيب القارئ بالملل[١٠]. كما يعترف بأن مصدره يحتاج إلى التنقيح، ويطلب من قارئه أن يغفر له ذلك[١١]. وعلى الرغم من موضوعية فوشيه في نقده لأحوال مملكة بيت المقدس[١٢] فإن هذه الموضوعية تتهاوى في وصفه للمسلمين تارة بكلمة "أعدائنا"[١٣]، وتارة أخرى بكلمة "الكفار"[١٤]. والجدير بالذكر أن هذا التعصب نعهده عند جميع مؤرخي الحملة الصليبية الأولى اللاتين.

اعتمد فوشيه، كغيره من المؤرخين اللاتين، على الاقتباس من المصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية ومن الكتاب المقدس. ولكن اقتباساته جاءت حرفية وغير ملائمة أحياناً، كما أنها اشتملت على بعض الأساطير والخرافات[١٥]. أما الوصف عند فوشيه فلا يرتقي للوصف عند مؤرخين آخرين مثل مؤرخ الجستا المجهول[١٦]. كما أن تحليله الجغرافي جاء ساذجاً إلى حد بعيد[١٧]. ولكن فوشيه تفوق على غيره في وصفه للظواهر الطبيعية في فلسطين، بل نجده شغوفاً بوصف الحيوانات التي شاهدها بنفسه أو تلك التي سمع عنها.

وليس لفوشيه مؤلفات معروفة سوى كتاب واحد هو "تاريخ الحملة إلى القدس"، والذي يرجح أنه شرع في كتابته عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ[١٨]. وقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة كتب تناول فيها تاريخ الحملة الصليبية الأولى وعهد الملكين الصليبيين جودفري البويونى Godfrey of Bouillon (١٠٩٩ – ١١٠٠م/٤٩٢ – ٤٩٣هـ)[١٩] وشقيقه الملك بلدوين الأول[٢٠]. ويلاحظ على كتاب فوشيه أنه أكثر فيه من تناول الظواهر الطبيعية لبلاد الشام، وخاصة وصفه للبيئة الحيوانية في فلسطين وما جاورها من مناطق، كصحراء الأردن ومصر. وهذه الناحية من كتاب فوشيه، على وجه التحديد، هى ما ستتناوله هذه الدراسة في صفحاتها التالية.

وأظهر فوشيه اهتماما واضحاً بالبيئة الطبيعية في مملكة بيت المقدس الصليبية. فقد اهتم بالجيولوجيا وحاول تفسير سبب ملوحة البحر الميت[٢١]. كما تحدث عن بعض الزلازل التي ضربت بلاد الشام في بدايات القرن ١٢ م[٢٢]. كما ذكر، في سذاجة علمية واضحة، صناعة الزجاج من الرمال الشفافة[٢٣]. كما اهتم بالجغرافيا وحاول تصور خريطة البحر المتوسط[٢٤]. كما أشار إلى محاولات حكام مصر من الفراعنة شق قناة تربط بين البحر الأحمر ونهر النيل[٢٥]. كذلك أبدى فوشيه ملاحظات عديدة ومهمة على نباتات المنطقة، وذكر نحو عشرة أنواع من النباتات، وصنف ما يوجد منها فى فلسطين وما لا يوجد[٢٦]. بالإضافة إلى أنواع أخرى شاهدها فى فلسطين، ولكنه لم يورد أسمائها، حيث أنها غير معروفة بالنسبة له[٢٧].

وقد أبدى فوشيه اهتماماً بعلم الحيوان على نحو خاص. فوصف جانباً من البيئة الحيوانية في مملكة بيت المقدس اللاتينية في فلسطين، كما وصف بعض الحيوانات التى لا توجد داخل المملكة. وقبل الخوض فى تفاصيل الحيوانات التي وصفها فوشيه في تاريخه، يجدر بنا أن نتعرف سريعاً على تقسيم المملكة الحيوانية، الأمر الذي سيساعد في فهم طبيعة وتنوع الحيوانات التي وصفها فوشيه. فقد قام علماء الحيوان بتصنيف الحيوانات في المملكة الحيوانية في ترتيب متعارف عليه عالمياً. وهذا الترتيب يهدف إلى مساعدة العلماء والباحثين فى دراسة حيوانات المملكة وتصنيفها. وهذا الترتيب هو: (المملكة الحيوانية، الشعبة، الصف، الرتبة، الفصيلة، الجنس ثم النوع). وتوضع الحيوانات الأقرب في الصفات الخارجية والداخلية في شعبة واحدة، أو صفوف، أو رتب واحدة. وتأخذ في ذات الوقت مسمى واحد ك "شعبة الحبليات" وهى الحيوانات التي تحتوي على أحبال شوكية[٢٨].

ذكر فوشيه ٤٠ نوعاً من الحيوانات التي تم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: قسم ضم الحيوانات التي شاهدها في فلسطين. وقسم استعرض فيه الحيوانات التي لم يشاهدها فى فلسطين. أما القسم الثالث فضم الحيوانات التي نقلها فوشيه من التراث الكلاسيكي. أما القسم الأول فوصف فيه ١٠ أنواع من الحيوانات، هى الغزال، والذئب، والضبع، والجراد، والمها العربي، والحمير الوحشية، والقنافذ الشوكية، والحمام الزاجل، والتمساح والجرذان. أما الحيوانات التى لم يراها في فاسطين فذكر منها ستة أنواع هي: الحوت، وسمك الجلكي، وغراب العقعق، وطائر الشادي، والكميت ثم فرس النهر. أما القسم الثالث فيضم ٢٤ نوعاً، هى الحرباء، والآيائل، والفهود، وأفعى الأموديتاي Ammodytae، وأفعي السنشريس Cenchris، وأفعى داء الفيل Elephantiae، وأفعى الشيرسيدري Chersydri، وأفعى الشاميدراكونتيس Chamaedracontes، وأفعى السقطلة Scytale، وأفعى الدبساس Dipsas، وأفعى الهيبنال Hypnale، وسحلية السقنقور Scinci، والعقرب Scorpiones، وسحلية اللاسيرتاي Lacertae، والثعبان السهم Iaculi، وحشرة البق، والمرجان، وقنفذ البحر، وسحلية الباسيليق Basilicus، وثعبان الهايمورهويس Haemorrhois، وسحلية الأمفيسباينا Amphisbaena، وأفعى الكيراستيس Cerastes ثم الثعبان الراهب Prester. وفيما يلي سيأتي ذكر فوشيه لكل نوع منها على حدة.

من الحيوانات التي ذكرها فوشيه في فلسطين الغزال، ولم يصفه بشكل مباشر، ولكن ذكره في تشبيه للقائد المسلم كربوغا[٢٩] بالغزال عندما فشل الحصار الذي ضربه هذا القائد المسلم الشجاع حول الصليبيين في أنطاكية عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ. فقد وصف فوشيه فرار كربوغا، قائلاً:

"فر كربوغا رشيقاً كالغزال"[٣٠]

ومن المحتمل بشكل كبير أن يكون فوشيه قد شاهد الغزال وركضه، خاصة وأن الغزال شائع في فلسطين. ويكثر وجوده، على نحو خاص، في الصحراء السورية، والمناطق الواقعة جنوبي لبنان وفي جبل الزيتون بالقرب من القدس. ويسمى هذا النوع من الغزلان بـ "غزال الجبل الفلسطيني"[٣١]. وربما اقترب فوشيه بشكل واضح من غزال الجبل الفلسطيني وربما مارس صيده فى صحراء جنوب فلسطين، وشاهد عن كثب رشاقته وسرعته في الركض. وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن فوشيه كتب تاريخه بعد فترة طويلة من بقائه في القدس، مما يعني أنه شاهد حيوانات المنطقة، ومنها الغزال، أدركنا سبب التشبيه الذي أطلقه فوشيه على كربوغا. وهو هنا يحاول التقليل من شأن وشجاعة هذا القائد البطل المسلم ووصفه بالجبن والخوف. ومع الوضع في الاعتبار اختلاف الثقافات بين الشرق والغرب آنئذٍ، حيث كان حيوان الغزال محبوباً عند العرب، وهو مضرب الأمثال، فيشبه الرجل بالغزال والمرأة بالغزالة، دليلاً على الرشاقة والسرعة[٣٢]، أدركنا أن فوشيه أخطأ في هذا التشبيه غير العادل وغير المنصف.

وذكر فوشيه حيواناً آخر في فلسطين وهو الذئب، ولم يذكره بطريقة مباشرة أيضاً. ففي عام ١١٢٣م/٥١٨هـ، وعقب هزيمة أمير الموصل آقسنقر البرسقي[٣٣] في معركة قاسية على يد الصليبيين قرب أشدود[٣٤]، كتب فوشيه شعراً أشاد فيه بانتصار الصليبيين، حيث قال:

"هلك أولئك القوم المتوحشون بقوة الله، وطرحت أجسادهم على سهول بلاد فلسطين، واصبحت قوتاً للذئاب والضباع"[٣٥].

ونستنتج من ذلك أن الذئاب كانت موجودة آنئذٍ في براري فلسطين. ويؤكد العلماء المحدثين على أن الذئب شائع منذ القدم وحتى العصر الحاضر في سهول فلسطين ووديانها وجبالها. وهو يشكل خطراً على قطعان الأغنام بشكل خاص[٣٦]. وهذا من شأنه أن يؤكد على انعدام الأمن على الأرواح وعلى قطعان حيوانات الرعي في فلسطين في عصر الحروب الصليبية.

وأشار فوشيه أيضاً إلى وجود الحمار الوحشي في فلسطين، حيث قال:

"وفيها (أي في فلسطين) حمير وحشية، وقنافذ شوكية، ناهيك عن الضباع التي تحفر قبور الموتى"[٣٧].

وهو بالطبع يقصد ذلك النوع من الحمير الوحشية المعروف بـ "الأخدر"، ويسميه علماء الغرب المحدثين بـ Syrian Onager وهو يقطن السهول العشبية الجافة في فلسطين وجنوب شرق الأردن. وألوانه تشبه ألوان الحمير المستأنسة، فهو ليس مخططاً كالحمير الوحشية المعروفة. ويعيش الأخدر في قطعان كبيرة متجولة بحثاً عن المرعى في الصحراء. وقد ورد ذكره كثيراً في التراث العربي[٣٨].

وملاحظة فوشيه لهذه الحمير، في حد ذاتها، تبين ميله واهتمامه بالحياة الطبيعية، وبخاصة الحيوانات، في مملكة بيت المقدس الصليبية. وتجدر الإشارة إلى أن معظم مؤرخي الحروب الصليبية اللاتين لم يوردوا أية إشارة عن هذا النوع من الحمير. وهذا يدل على اختلاف فوشيه وتميزه عن غيره من المؤرخين اللاتين.

كذلك ذكر فوشيه أن القنافذ الشوكية موجودة في فلسطين[٣٩]، ولكنه لم يتحدث عن خصائص وصفات هذا الحيوان. والقنفذ الشوكي يسمى في التراث العربي بـ "النيص" أو "الشيهم". وبالإنجليزية يسمى "Porcupine". وهو حيوان ينتمي إلى شعبة الحبليات، طائفة الثدييات، رتبة القوارض. ويتميز القنفذ بوجود أشواك حادة تغطي معظم أجزاء جسمه كوسيلة للدفاع عن نفسه. وهى في ذات الوقت حيوانات عشبية تتغذى على الأعشاب والأغصان وأوراق ولحاء الشجر. وتوجد القنافذ في سوريا وفلسطين، وخاصة في المناطق الصخرية والوديان الجبلية. ولاحظ العلماء تواجد القنافذ بوفرة في الوديان المتاخمة لوادي نهر الأردن. ومن عادة العرب صيدها وأكل لحمها الذي يعتبرونه شهي بدرجة كبيرة[٤٠].

ويدخل القنفذ في الحياة الاجتماعية في فلسطين بشكل واضح. فقد جاء في كتاب "التاريخ الطبيعي للأرض المقدسة"، والذي كتب في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أن هناك من يربي القنفذ الشوكي في المنازل للترفيه والتسلية. كما أن هناك من الفلاحين من يقوم بجلبه من الريف وبيعه في المدن كطعام، حيث أن لحمه مستساغ[٤١]. وعلى أية حال، كان على فوشيه أن يقدم المزيد عن هذا الحيوان، غير أن هذا لم يحدث. وما دام فوشيه لاحظ وجود القنفذ فى فلسطين، فهذا يعني أنه اهتم بملاحظته، ولفت انتباهه وجود هذا الحيوان في فلسطين. وهذا يعني أيضاً أنه قد رآه من قبل في الغرب أو قرأ عنه في كتب القدماء.

وجاءت الضباع ضمن الحيوانات التي ذكرها فوشيه، بل إنه ذكرها مرتين في موضعين مختلفين من كتابه، حيث قال:

"وطرحت أجسادهم (يقصد قتلى المسلمين) على سهول بلاد فلسطين، واصبحت قوتاً للذئاب والضباع"[٤٢].

وقال في موضع آخر:

"وفيها (أي في فلسطين) حمير وحشية، وقنافذ شوكية، ناهيك عن الضباع التي تحفر قبور الموتى"[٤٣].

ويلاحظ في الفقرة الأولى أن فوشيه ذكر وجود الضباع في فلسطين في سياق حديثه عن مصير جثامين قتلى المسلمين في معارك ١١٢٣م/٥١٧هـ التي وقعت بينهم وبين الصليبيين، حيث ذكر أن جثامينهم باتت طعاما للذئاب والضباع. أما في الفقرة الثانية فقد أشار صراحة إلى وجود الضباع في فلسطين. ولفهم إشارة فوشيه يجدر بنا تعريف هذا النوع من الحيوانات بشكل سريع. فالضباع حيوانات ثديية، تتبع رتبة اللواحم، فصيلة الضبعيات وهي حيوانات مفترسة تأكل اللحوم وخاصة الجيف وبقايا فرائس الحيوانات الأخرى. وهى صيادة ماهرة تتميز بقوة فكيها التي تستطيع بها سحق العظام، وهو يشبه الكلاب من حيث الهيئة، غير أن ساقيه الأماميتين أطول من ساقيه الخلفيتين، ورقبته ممتلئة بشكل أكبر من رقبة الكلب والذئب. ويصيد الضبع فرائسه ليلاً، ويميل إلى الصيد في الأماكن الزراعية القريبة من الصحاري[٤٤].

وأوضح فوشيه أن الضباع تحفر قبور الموتى، وهذه معلومة صحيحة وأكدها الدميري الذي ذكر أن الضباع مولعة بنبش القبور لكثرة شهوتها للحوم الآدميين. وهى حيوانات ضارة تضرب العرب بها المثل في الفساد. فعندما تدخل في قطيع الغنم تقتل منه ما تستطيع ولا تأكل مما قتلت إلا النذر اليسير، وهى في ذلك على عكس الذئب الذي يقتل ما يأكله فقط[٤٥]. والواقع ذكر صفة نبش القبور الخاصة بالضباع له مدلولاته عند فوشيه. ففي ذلك العصر الذي كثرت فيه الحروب، وبالتالي كثرت المقابر الجماعية والكبيرة لقتلي الصليبيين والمسلمين في ميادين المعارك الدائرة بين الطرفين. وبالتالي كانت تلك المقابر الجماعية وهذه الجثامين الملقاة في ميادين المعارك هدفاً للضباع التي تسعى وراء لحوم البشر. ولابد أن الصليبيين أنفسهم عانوا من نبش قبور موتاهم بواسطة الضباع، لأن فوشيه ذكر نوعين من الحيوانات اسماً، أما الضبع فذكره بصفته وسلوكه السئ المتمثل في "نبش قبور الأموات". الأمر الذي يبين أن هذا السلوك قد مارسته الضباع وعانى منه الصليبيون فيما يخص مدافن موتاهم. ولم يذكر فوشيه صفة للضبع غير هذه الصفة والتى يبدو أنه تألم منها هو وبقية جيشه من الصليبيين.

كما ذكر فوشيه حشرة الجراد في موضعين من كتابه[٤٦]، وفي كلا الموضعين تناول الجراد من حيث مدلولاته وتأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مملكة بيت المقدس الصليبية وجيرانها المسلمين. ويلاحظ أنه لم يتناول حشرة الجراد ككائن يجب دراسته، ولكنه تناول مسألة الجراد في ظل حدث عارض وهو وقوع هجوم كبير لأسراب الجراد في عامين مختلفين، أولهما عام ١١١٤م/٥٠٨هـ، وثانيهما عام ١١١٧م/٥١١هـ[٤٧]. أما في عام ١١١٤م فقد أشار فوشيه إلى أن هجوم الجراد تسبب في أضرار بالغة للمحاصيل. أما في عام ١١١٧م فقد تحدث بالتفصيل عما أحدثه هذا الهجوم، وأظهر مدى أضرارها على حياة الناس ومحاصيلهم. ثم تطرق إلى وصف تفصيلي للجراد في لحظات هجومه، حيث ذكر أن الجراد كان منظماً في هجومه على كل ما هو أخضر، وهو في تحركه يشبه الجيش المتحرك. ثم انتقل فوشيه لوصف مبيت الجراد، إذ أشار إلى أن الجراد تجمع في مكان واحد "كمرقد مريح لهم"[٤٨]. ،اكد العلماء المحدثون صحة معلومات فوشيه، فالجراد يختار مكان واحد منبسط للمبيت فيه حتى طلوع فجر اليوم التالي. وتظهر الأرض مكتظة بهم، ومفروشة بغطاء من الجراد[٤٩].

واتجه فوشيه إلى صفة مهمة من صفات الجراد. فبعد قضاء ليلتهم في المبيت، كما ذكرنا، عادوا يحاولون الطيران في فجر اليوم التالي، ووصف فوشيه المشهد قائلاً: "كان بعضهم مجنح، وبعضهم بلا أجنحة"[٥٠].

وهنا ذكر فوشيه وجود جراد مجنح وآخر بلا أجنحة. وهذه ظاهرة تخص أطوار حياة الجراد، فأسراب الجراد المهاجمة تكون إما في طور البلوغ، حيث يكون الجراد بأجنحة. وإما في طور ما قبل البلوغ (طور الحوريات)، حيث يكون الجراد عادةً بلا أجنحة، ويتحرك سيراً على الأقدام[٥١].

وهكذا، فإن كان فوشيه قد ذكر أسراب الجراد، إلا أنه لاحظ الظاهرة وتعرض لها، ووصف سلوك الجراد في هجومه، وفي مبيته وفى تحركه أثناء هجرته. وهذا يدل على اهتمام فوشيه بهذا النوع من الحشرات، وكذلك بظاهرة هجرته في أسراب كثيرة وما قد ينتج عن هذه الهجرات من أضرار اقتصادية واجتماعية على الصليبيين وجيرانهم. وعلى الرغم من اهتمام فوشيه برصد هذه الظاهرة، فإن تفسيره لسبب هجوم الجراد كان مخيباً للآمال. فبدلاً من أن يحاول البحث عن سبب وراء هجوم الجراد، أرجع فوشيه سبب الهجوم إلى العناية الإلهية، فما كان هذا الجراد، من وجهة نظر فوشيه،سوى عقاب من الله للصليبيين على تقصيرهم وذنوبهم[٥٢]. من ناحية أخرى، أثبتت الأبحاث الحديثة صحة معلومات فوشيه عن مدى الضرر الذي أحدثته هجمات أسراب الجراد، فقد أشار العلماء إلى أن عدد الجراد في السرب المهاجم يبلغ أربعة مليارات جرادة[٥٣].

وجدير بالذكر أن فوشيه يتفرد عن بقية المؤرخين بذكره لحوادث هجوم الجراد عامي ١١١٤م و ١١١٧م. ولم ترد إشارات لهجوم أسراب الجراد إلى عند المؤرخ الأرميني متى الرهاوي Mathew of Edessa[٥٤] الذي ذكر هجوماً للجراد وقع عام ٩٥٤م/٣٤٣هـ في إقليم أرمينيا. وذكر أنه غطى الأرض وزاد من حدة المجاعة التي كانت تضرب الإقليم في ذلك الوقت[٥٥]. ولكن لم يذكر هجوم أسراب الجراد الذي وقع في بلاد الشام عام ١١١٤م/٥٠٨هـ وعام ١١١٧م/٥١١هـ، على الرغم من أنه كان معاصراً لتلك الفترة وكتب أحداثها. وربما كان ذلك بسبب عدم وصول أسراب الجراد في العامين المذكورين إلى أرمينيا، أو عدم مرورها بأرمينيا في طريقها حتى وصولها إلى فلسطين، الأمر الذي جعل متى لم يذكرها.

من ناحية أخرى، فإن مدلول هجوم أسراب الجراد كان يختلف من مكان لآخر في ذلك العصر. فعلى سبيل المثال، ذكر فوشيه أن أسراب الجراد سببت الدمار للمزروعات والمحاصيل، وأصابت الناس في حياتهم وأرزاقهم، حيث قال:

"وقد أصابوا (يقصد أسراب الجراد)، في بضعة أيام من شهري أبريل ومايو، محاصيلنا بتلف شديد"[٥٦].

في حين أشارت المؤرخة البيزنطية آنا كومنينا Anna Comnena[٥٧] إلى هجوم لأسراب الجراد وقع في بعض أجزاء الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ. وكل ما ذكرته آنا أن البيزنطيين عندما لاحظوا عزوف أسراب الجراد عن القمح وتوجههم نحو البساتين، تفاءلوا بهذا الحدث واعتبروه فأل خير، بل واسقطوه على خوفهم من القوات الصليبية القدمة من الغرب في صورة جيوش الحملة الصليبية الأولى. حيث فسروا عزوف الجراد عن القمح واتجاهه للبساتين بأن جيوش الصليبيين لن يهاجموا إخوانهم المسيحيين في أرضي الإمبراطورية البيزنطية، وإنما سيهاجموا المسلمين في بلاد الشام[٥٨]. وهذا من شأنه يوضح لنا أن البيزنطيين رغم تفوقهم الثقافي على غرب أوربا، فإنهم يعتقدون في التأويل والتفسير من تفاؤل أو تشاؤم لهجوم للجراد أو خسوف للقمر أو كسوف للشمس.

وهناك حيوان ثديي آخر أشار فوشيه إلى أنه رآه في فلسطين، وهو حيوان المها، ولكنه لم يصرح بذلك اسماً، وإنما قال:

"شاهدنا جميعاً مؤخراً حول نابلس حيواناً، ما عرف إمرؤ اسمه، ولا سمع به. له وجه كذكر الماعز، ورقبة شعراء كالحمار الصغير، وحوافر مشقوقة، وذيل كالعجل، وهو أكبر من الكبش"[٥٩].

وقبل الخوض في وصف فوشيه للمها يجدر بنا تعريفها علمياً حتى يتسنى لنا الربط بين أوصافها وما ذكره فوشيه. فالمها العربي في هيئة البقر الوحشي القوي الجامح. وألوانها أقرب إلى البياض الذي يشوبه بعض الغبار. ورأسها مستطيل الشكل ويحمل قرنين طويلين يتراوح طولهما من ٥٠ إلى ٦٠ سنتيمتر. ويبلغ طول المها مترين أو يزيد، بينما يبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو متر أو أقل. واسمها العلمي Oryx Ieucoryx، وهى من شعبة الحبليات، طائفة الثدييات، فصيلة البقريات[٦٠].

وقد يراود البعض شك في أن وصف فوشيه قد ينطبق على الماعز البري أو الوعل وليس المها. وواقع الأمر فإن هذه الأنواع الثلاثة من الحيوانات قريبة الشبه من بعضها البعض، وجميعها توجد في فلسطين[٦١]. ولكن وصف فوشيه ينطبق تماماً على المها، وبخاصة المها العربي الذي يشبه ذيله ذيل العجل، ووجهه وجه ذكر الماعز. ولكن كل من الوعل والماعز البري ذيله قصير جداً[٦٢]، مما يرجح، بشكل كبير، أن وصف فوشيه ينطبق على المها. والوعل والماعز البري الموجودان في أوربا لابد وأن فوشيه كان يعرفهما، وعلى دراية بهما. أما المها العربي فيوجد فقط في منطقة الشرق الأدنى وشبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا[٦٣]. ولذا فإن فوشيه لا يعرف المها، وكانت بالنسبة له حيواناً غريباً.

وعلى أية حال، فملاحظة فوشيه للمها تدل على أنه ملاحظ ومراقب جيد للبيئة الحيوانية في فلسطين. وإذا ما علمنا أن المها تعيش فقط في الجبال، لأدركنا أن فوشيه كان حريصاً على معرفة هذا الحيوان. وقد اجتهد في محاولة معرفته، حيث ذكر أنه "لن يعرف إمرؤ اسمه، ولا سمع به". وهذا دليل على أن فوشيه كان يحاول سؤال الآخرين من أجل تقصي الحقائق عن المها من أجل معرفتها بشكل أفضل.

والملاحظ أن وصف [illegible] المها [illegible] وصف الدميري له، حيث يقول الأخير: "المها نوع من البقر الوحشي.... (ويسمر الدميري فى الوصف حتى يصل إلى) .... وهى أشبه شئ بالماعز الأهلية، وقرونها صلاب جداً"[٦٤].

غير أن الدميري يتقدم بشكل [illegible] ماته عن المها، ويورد فيه شعراً وأمثلة ويبرز صفات المها المتعددة. وربما كان فوشيه قد اطلع على كتب عربية هى ذاتها التي وقعت في أيدي الدميري، مما جعل معلو[illegible] متشابهة إلى حد بعيد.

وإيراد فوشيه للمها وملاحظته لها له دلالة اقتصادية واضحة. فوجود المها في فلسطين دليل على تنوع الحياة الحيوانية في هذا الإقليم، ودليل أيضاً على وجود المراعي التي ترعى فيها المها وأقاريها من الوعول والماعز البري. وهذا أيضاً دليل على التنوع الحيوي الموجود في سهول فلسطين، مما يبين أنها كانت مراعي خصبة، خاصة الأجزاء الوسطى والشمالية منها، حيث أن الأجزاء الجنوبية من فلسطين كلها صحراء قاحلة تقريباً[٦٥].

وذكر فوشيه الحمام الزاجل في حديثه عن هجوم الصليبيين على مدينة عسقلان عام ١١٢٥م/٥١٩هـ. حيث وجد الصليبيون أن الكثير من رجال المدينة قد هربوا بقطعانهم قبل وصول الجيش الصليبي. وأوضح فوشيه أن السبب في ذلك هو استخدامهم للحمام الزاجل فقد تم اخطار أهل عسقلان بقدوم الجيش الصليبي قبل وصوله عن طريق وصول رسائل إليهم من مناطق أخرى بواسطة هذا النوع من الحمام. وتحدث فوشيه عن الطريقة التي ترسل بها الرسائل بالحمام الزاجل، حيث تربط الرسالة في قد الحمام الزاجل الذي من طبيعته تذكر الأماكن التي زارها من قبل بوضوح. وبهذا تصل الحمامة حاملة الرسالة إلى الجهة التى يرشدها إليها مدربها أو مربيها[٦٦]. ولم يزد فوشيه عن ذلك في حديثه عن هذا النوع من الحمام.

وهنا يتحتم علينا معرفة الحمام الزاجل بشكل أفضل. فهذا النوع من الحمام يسمى أيضاً بـ "حمام المراسلة" حيث يستخدم في نقل الرسائل من مكان إلى آخر. وقد استغل الإنسان غريزة حب هذا النوع من الحمام لوطنه في نقل الرسائل وقت الحروب. ويبلغ وزن الواحد منها نحو ٦٠٠ جرام. ويمتاز هذا الحمام بعضلات صدر قوية ومنقار طويل. أما لونه فهو أبيض أو أسود أو أزرق أو بني[٦٧].

ويلاحظ أن فوشيه ذكر طريقة إرسال الرسائل بواسطة الحمام الزاجل، ولكنه لم يذكر صفات الحمام الظاهرية، أو طباعه وسلوكه. وربما كان ذلك دليلاً على أن هذا الحمام لم يكن معروفاً لفوشيه في الغرب. ويؤكد صحة عدم معرفة فوشيه بالحمام الزاجل،ما ذكره المؤرخ ألبرت الأيكسي Albert of Aix قبل هذا التاريخ بعدة سنوات. فهذا الأخير أشار إلى أنه عقب سقوط أنطاكية في يد الصليبيين عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ دخل جودفري البويوني في صراع مع رضوان حاكم حلب المسلم[٦٨]، إلا أن حكام مدينة أعزاز[٦٩] المسلمين، والذين كانوا على عداء مع رضوان، راسلوا جودفري سراً عن طريق الحمام الزاجل. وكان هذا أمراً غريباً بالنسبة لألبرت الذي قال، واصفاً هذا النوع من الحمام:"وهى طيور لطيفة ومروضة"[٧٠].

مما يعني أنها كانت طيور غريبة وغير معروفة له في الغرب، ولم يعرف بها إلا عندما سمع بأمرها من الحجاج العائدين من الشرق إلى أوربا عقب سقوط القدس عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ. وعلى أية حال، كان من المفترض أن يقدم ألبرت المزيد من المعلومات عن صفات هذا الحمام، إلا أن وصفه جاء مختصراً بشكل كبير. وحذا حذوه فوشيه الشارتري المعروف بميله لمعرفة طبيعة بلاد الشام، والبيئة الطبيعية فيها، وخاصة حيواناتها ونباتاتها.

واستعرض فوشيه حيواناً آخر من حيوانات فلسطين وهو التمساح. وأشار إلى أنه يوجد في مصر وفي فلسطين، حيث قال:

"وهنالك (أي في مصر) التمساح، ذلك الشرير الرباعي الأقدام الذي يستوطن اليابسة والأنهار بإلفة متساوية، وليس لديه لسان، ويحرك فكه العلوي فتطبق بتشبث هائل. وهو ينمو حتى يفوق طوله العشرين ذراعاً. ويبيض البيض مثل الوز، ولكن صغاره يفقسون فقط في المواقع التي لا يصل إليها النيل عند إرتفاعه في المد. وهو مسلح بمخالب بالغة الضخامة، ويقطن المياه في الليل، ويستلقي على اليابسة خلال النهار. ويغلفه جلد خشن متين"[٧١].

وعن وجود التمساح في فلسطين، قال:"وتوجد مثل هذه الرباعية الأقدام في أحد جداول القيصرية في فلسطين. ويحكى أنها احضرت مؤخراً من النيل ذاته بالخداع والمكر. لذلك فهم كثيراً ما يلتهمون الحيوانات الأخرى الآن، ويسببون كثيراً من الخراب في تلك الأنحاء"(٧٢).

ويلاحظ من وصف فوشيه للتمساح أنه وصف طويل إذا ما قورن بحيوانات أخرى وصفها من قبل في كتابه، بل إن وصف التمساح يعد أطول وصف لحيوان في كتاب فوشيه الشارتري. وربما كان السبب في ذلك راجع إلى تحصيل فوشيه لمزيد من المعلومات عن التمساح من كتابات المؤرخ الروماني سولينوس Solinus، أو أنه شاهد التمساح بنفسه في فلسطين وسأل عنه وتعرف عليه ممن لديه معرفة ودراية بهذا الحيوان.

وعلى الرغم من الوصف الطويل الذي عرضه فوشيه للتمساح، فإنه لا يقارن بالوصف النموذجي العلمي المنظم الذى قدمه الدميري له. فالأخير تناول موضوع التمساح كما يلي:

أولا: عرّف الدميري التمساح من ناحية مصدر اسم التمساح نفسه وجذور هذا الاسم.

ثانياً: وصف التمساح وصف خارجي شامل.

ثالثاً: وصف حياة التمساح في الماء وفي اليابسة.

رابعاً: أعطى وصفاً لطريقة تكاثر التماسيح.

خامساً: عرض ما ذكره الآخرين من صفات عجيبة للتمساح.

سادساً: طريقة طعام التمساح وطريقة إخراجه للفضلات.

سابعاً: ذكر أعداء التمساح من الحيوانات الأخرى.

ثامناً: تعرض لحكم أكل لحم التمساح، وساق على ذلك ما استطاع من الأحاديث الشريفة واجتهادات الفقهاء والعلماء.

تاسعاً: ذكر الأمثال التي وردت عن التمساح عند العرب.

عاشراً: عرض الدميري لخواص التمساح، أي الفوائد الطبية من التمساح، سواء في تناول لحمه أو شحمه، أو أية فائدة للإنسان من التمساح.

حادي عشر: واختتم حديثه بذكر تفسير رؤية التمساح في المنام، وساق على ذلك العديد من اجتهادات وتفسيرات العلماء والفقهاء[٧٣].

وعلى ذلك فالفارق شاسع بين ما ورد عن التمساح عند فوشيه وعند الدميري. ولكن فوشيه أفضل من غيره من المؤرخين المعاصرين له في هذه الناحية من الاهتمامات العلمية. فهو الذي لاحظ وسجل عن هذا الحيوان دون غيره من المؤرخين والرحالة الذين مروا بفلسطين في عصر الحروب الصليبية.

من ناحية أخرى، يلاحظ أن فوشيه كان ساذجاً في بعض المعلومات التى ذكرها عن التمساح. فعندما قال: "هذا الرباعي الأقدام" فالمعروف أن معظم الحيوانات والزواحف رباعية الأقدام، وهذا ليس أمراً نادراً أو جديداً في صفات التمساح. كذلك يلاحظ أن فوشيه أشار إلى أن التماسيح توجد في أحد جداول قيصرية، ولم يحدد بالضبط في أى مكان أو في أى جدول من جداول قيصرية. ولكن الدلائل تؤكد وجود التماسيح في نهر الزرقاء (المعروف بنهر التمساح)[٧٤] منذ عهد الفراعنة وكذلك في عصر الحروب الصليبية[٧٥]. وكان على فوشيه أن يكون أكثر وضوحاً في تحديد مكان وجود التماسيح، وحيث أن عبارة "أحد جداول قيصرية" غير واضحة، ولعله كان يقصد بها نهر الزرقاء الذي يصب بالقرب من قيصرية.

كذلك كان فوشيه ساذجاً في حديثه عن أصول التماسيح الموجودة في فلسطين، حيث ذكر أنها احضرت من نيل مصر " بالخداع والمكر" ولم يحدد بأي خداع أو مكر، وهل يقصد خداع البشر أم خداع التماسيح للبشر؟؟ فهذه المعلومة غير واضحة عند فوشيه. وقد رجح العلماء أن المصريين الفراعنة الذين جلبوا التمساح من النيل إلى فلسطين بعد غزواتهم في بلاد الشام في عصر الدولة الفرعونية الحديثة، وذلك لأن التمساح كان إلها من آلهة المصريين القدماء، لذا رغب الفراعنة في احضار إلههم معهم بعد سيطرتهم على فلسطين(٧٦). وفي القرن الحادي عشر كان التمساح موجود في وادي نهر الزرقاء، ويقال أن اثنين من جنود الجيش الإنجليزي في الحملة الصليبية الثالثة قد التهمتهما التماسيح في نهر الزرقاء(٧٧). وهذه دلائل تبين صحة معلومة فوشيه عن وجود التماسيح في فلسطين في عصر الحروب الصليبية.

وعلى الرغم من تضارب وسذاجة معلومات فوشيه عن التماسيح، فإن اجتهاده وملاحظته لهذا الحيوان تبقى دليلاً على توجه فوشيه وميله إلى الكتابة عن مظاهر البيئة وتنوع الحياة الطبيعية في فلسطين في سياق حديثه عن الحملة الصليبية الأولى وتأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية في فلسطين. وتجدر الإشارة إلى أن المصادر اللاتينية المعاصرة لفوشيه لم تكن متعاونة في هذه الناحية، فلم ترد أية إشارة في هذه المصادر عن التماسيح في فلسطين في ذلك العصر. وتبقى شهادة فوشيه على وجود التماسيح في نهر الزرقاء في ذلك العصر دليلاً على عدم الأمان والاطمئنان في الورود إلى هذا النهر أو لاستعمال ميهه في الري أو الشرب أو حتى سقاية الحيوانات.

وأورد فوشيه حيواناً ثديياً آخر في تاريخ هو "الجرذ"، ولكنه تناول جزء فقط من طبيعة هذا الحيوان. فقد تحدث عن ما سماه "وباء الجرذان"، حيث قال:

"في عام ألف ومائة وسبعة وعشرين من ميلاد الرب، وفي الخمس عشرية الخامسة، ظهرت حشود من الجرذان في منطقة فلسطين بأعداد هائلة ..... (واستمر حتى قوله).. وظلت تلك المنطقة موبؤة بجثثهم المتعفنة"(٧٨).

وقبل الخوض في تفاصيل حديث فوشيه عن الجرذان، يجدر بنا تعريف هذه الحيوانات لفهم رواية فوشيه ومغزاها. فالجرذان حيوانات من رتبة القوارض. وهناك نحو ٨٦ جنساً و٧٢٠ نوعاً منها. وهى توجد في كل قارات العالم تقريباً. ويتراوح وزنها ما بين بضعة جرامات و٣٠٠ جرام. وهى تجرى على الأرض وتسبح في المياه وتتسلق الاشجار وتتغذى على كل ما يقابلها من نبات أو حيوان يسهل أكله. وهى حيوانات خصيبة، فالأنثى تضع ثلاث مرات في العام الواحد(٧٩).

ومن وصف فوشيه يلاحظ أنه يتحدث عن "وباء الجرذان" ولا نعرف هل هو يقصد الوباؤ الذي تنقله الجرذان أم أنه يقصد بلاء هجوم حشود الجرذان الكثيرة، مما أهلك الموارد المتاحة للناس في فلسطين. وقد يكون فوشيه صائباً في تسميته لهجوم الجرذان بـ "وباء الجرذان". فقد كان هناك اعتقاد سائد في أوربا، حتى القرن السابع عشر لميلادي، بأن كثرة الجرذان تعد نذيراً بقدوم الطاعون. كما أن موت الجرذان بكثرة قبيل نزول الطاعون يعد نذيراً أيضاً بقدوم الطاعون. فالجرذان تموت لأنها مصابة به. وعدم التخلص السريع من جثثها قد يسبب انتشار الطاعون الكامن فيها(٨٠). ومن واقع الأضرار التي نجمت عن هذه الجرذان، والتى عددها فوشيه، ندرك أن ماحدث كان هجوماً لحشود غفيرة من الجرذان. فقد ذكر أن هذه الجرذان هاجمت حيوانات كالثيران والكباش، كما هاجمت ممتلكات الناس في عكا وجبال صور باحثة عن المياه، مما يبين أن المعاناة كانت من حشودهم الكثيفة التي هاجمت الناس في أملاكهم. ورجح هاجنمير أن ما وقع كان هجوماً لحشود كثيرة من الجرذان، وخاصة من نوع معين منها يسمى "فئران الحقول" وهى جنس من الجرذان يسمى نيسوكيا Nesokia، والتى تنتمي بدورها إلى أسرة "الفأريات". وفئران الحقول من جنس نيسوكيا يوجد منها نوعين: الأول وهو "الجرذ البني"، ويوجد في العراق. والثاني وهو "الجرذ الهندي قصير الذيل"، ويوجد في الهند ومصر وفلسطين وأجزاء كبيرة من آسيا وأفريقيا(٨١). ويحتمل أن النوع الأخير، قصير الذيل، هو الذي قصده فوشيه.

ويلاحظ أن فوشيه تناول الحديث عن بلاء هجوم الجرذان وأضراره، ولم يتناول بكلمة واحدة طبيعة هذا الحيوان أو صفاته. فقد اهتم فوشيه بالحدث وما نجم عنه من أضرار. وهذا أمر جيد، ولكن معلومة فوشيه كانت تصبح أكثر فعالية وقوة إذا ما كان دعمها بمعلومات عن الجرذان وصفاتها وطبيعتها كأحد الحيوانات المؤثرة بشكل كبير في نواحي الحياة الإقتصادية والاجتماعية.

من ناحية أخرى، قد تكون هذه الحيوانات التي قصدها فوشيه فئراناً وليس جرذاناً، فلم يحدد فوشيه ذلك تحديداً دقيقاً. كما أن رواية فوشيه عن هذا الحدث رواية فريدة ولم ترد عند غيره من المؤرخين. غير أن فوشيه نوه إلى أن هذه الجرذان قبضت على مؤخرة ثور وقتلته، وأنها التهمت سبعة كباش. وهذه المعلومات توضح صحة نص فوشيه. فالجرذ أكبر حجماً من الفأر، ويصل أحياناً إلى أحجام كبيرة وقوية كالجرذان الموجودة في خرسان، على حد قول الدميري[٨٢]. وبناءً على ذلك استطاعت تلك الجرذان، بأحجامها الكبيرة عن الفئران، أن تهاجم مؤخرة ثور وتقتله وتهاجم أيضاً سبعة كباش، مع العلم أن هذه رواية مشكوك فيها ويبدو فيها سذاجة من ألبرت، فمهما بلغت أحجام الجرذان فهل لها أن تقتل ثوراً أو سبعه كباش!!

واختتم فوشيه روايته عن الجرذان بعرض نهاية ومصير هذه الحشود الكبيرة الضارة. فقد هبت رياح عاتية على فلسطين فقتلت هذه الجرذان. وظلت المنطقة مليئة بجثثهم الموبؤة المتعفنة. وتبدو هذه النهاية لهجوم الجرذان ساذجة وغير واضحة المعالم. فلم يوضح فوشيه ما فعلته الرياح بحشود الجرذان، والأمر الذي صعب المسألة على الباحثين هو أن فوشيه هو المتفرد بإيراد هذه الحادثة، ولذا لا يوجد في المصادر الأخرى ما يكشف غموض رواية فوشيه والإيجاز الشديد فيها. ومن الغريب أن فوشيه اختتم كتابه أيضاً بهذه الرواية لهجوم الجرذان. ويبدو من سياق النص أن فوشيه كان لديه المزيد ليضيفه عن هذا الحدث، ولكن يبدو أن المرض أقعده عن الكتابة، أو أنه توفى وترك النص غير مكتمل. وعلى الرغم من أن كتابه انتهى بالعبارة التالية:

"هنا ينتهي تاريخ رحلة القدس الذي كتبه فوشيه الشارتري"[٨٣].

فإن قصة هجوم الجرذان تبدو ناقصة وغير مكتملة. أما العبارة السابقة، والتي انتهى بها الكتاب، فربما أضافها النساخ الذين نسخوا كتاب فوشيه فيما بعد، خاصة وأن هذا المصدر، على وجه التحديد، اعتمد عليه الكثير من المؤرخين قديماً وحديثاً.

على أية حال، فإن مدلولات رواية هجوم الجرذان على الحياة الإقتصادية والاجتماعية لا يمكن إنكارها. فقد مست هذه الكارثة الناحية الإقتصادية لسكان مملكة بيت المقدس وجيرانها المسلمين بشكل كبير. وهذا ما صرح به فوشيه نفسه، حيث ذكر أن صور وعكا، بالاسم، ضمن البلدان المتضررة من هجوم حشود الجرذان. وإذا ما أضفنا هجوم الجرذان عام ١١٢٧م إلى هجوم أسراب الجراد عام ١١١م و١١١٧م بالإضافة إلى زلزال عام ١١١٤م وكذلك الصراعات العسكرية القائمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، أدركنا مدى عدم الشعور بالأمن بين سكان مملكة بيت المقدس اللاتين وكذلك بين جيرانهم المسلمين.

وهناك قسم من الحيوانات التي ذكرها فوشيه في كتابه، وأشار إلى أنه لم يراها في فلسطين، وهى ستة أنواع من الحيوانات، أربعة منها ذكر أنه لم يراها في فلسطين، وهى: الحوت، وسمك الجلكي، وغراب العقعق وطائر الشادي. واثنان منها ذكر أنه سمع عنهما في مصر، وهما: الكميت وفرس النهر. وقد قال فوشيه في ذلك:

"فما رأيت في فلسطين الحوت ولا سمك الجلكي، ولا رأيت بين طيورها غراب العقعق ولا طائر الشادي"(٨٤).

أما الحوت فذكره فوشيه ضمن الحيوانات التي لم يشاهدها في فلسطين. والواقع أن هناك حيتان ،أسماك قرش تعيش في البحر المتوسط. كما أن هناك ما يقرب من ٤٤ نوع من أسماك القرش تعيش في البحر الأحمر، وإذا كان هذا العدد من أنواع أسماك القرش يعيش في البحر الأحمر، فلابد وأن يكون أكبر من هذا العدد يعيش في البحر المتوسط الذي يعنيه فوشيه في حديثه عن أسماك فلسطين. وقد ذكر فوشيه الحوت بالاسم، كما ذكرنا آنفاً. ولا يعرف هل هو يقصد الحوت بالفعل أم يقصد نوعاً آخر من أسماك القرش الضخمة مثل أسماك القرش الأبيض التي تشبه الحيتان في ضخامتها. فالحيتان قليلة جداً بشكل واضح في البحار، بينما يزداد عددها في المحيطات الواسعة. والقرش الأبيض، سالف ذكر، هو الأكثر مشاهدة في البحر المتوسط. فقد سجلت الإحصاءات أن نحو ٤٠ شخصاً قد تعرضوا لاعتداءات القرش الأبيض من عام ١٩٠٩م وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين(٨٥). والقروش مختلفة عن الحيتان، فالأولى حيوانات مائية لها هيكل عظمي، فهى عبارة عن أسماك ضخمة(٨٦). أما الحيتان فهى حيوانات ثديية تطورت من آلاف السنين حيث صارت حيوانات مائية ضخمة. وعلى أية حال، فمعرفة فوشيه بالحياة المائية في الجزء الشرقي من البحر المتوسط كانت محدودة في ذلك العصر، نظراً للإمكانيات المحدودة للعلم في ذلك الوقت، حيث لم تكن قد ظهرت بعد السفن ذات المحركات الضخمة، كما أن علوم البحار لم تكن قد بلغت مبلغها من التطور.

وقد يكون فوشيه قد أخذ معلومة عدم وجود الحيتان في فلسطين من التراث الكلاسيكي، خاصة وأن المعلومات التي أوردها فوشيه متشابهة مع ما ذكره سولينوس(٨٧). إلا أن فوشيه يستحق التقدير لملاحظته وتنويهه عن عدم رؤيته للحوت في فلسطين. وبشكل أدق في الجزء الشرقي من سواحل البحر المتوسط والمطلة على بلاد الشام.

وهناك نوع من الأسماك يسمى "سمك الجلكي" والذي ذكره فوشيه اسماً فقط، وأشار إلى أن هذا النوع من الأسماك لا يوجد في فلسطين[٨٨]. وسمك الجلكي نوع من الأسماك البدائية التي ليس لها فك، فالفم عندها عبارة عن فتحة دائرية فيها أسنان صغيرة تستخدمها لتفتيت الطعام. وللجلكي سبعة أزواج من الفتحات الدائرية الخيشومية خلف عينيها، وليس لها زعانف جانبية، وهى تشبه من حيث الشكل الأنقليس وثعبان البحر[٨٩].

ومن الملاحظ أن فوشيه لم يتحدث عن صفات سمك الجلكي، وأشار فقط إلى أنه لم يراه في فلسطين. وعلى الرغم من أن فوشيه لم يعطينا معلومات عن سمك الجلكي، فإن ذكره لهذا النوع من الأسماك يعني أنه شاهد ولاحظ أسماك فلسطين، وتفحصها ولم يجد من بينها سمك الجلكي، وهذا دليل على أنه مراقب جيد ومؤرخ لماح، ولا تفوته الناحية الإقتصادية في مشاهداته، ولا طبيعة المنطقة التي يعيش فيها[٩٠].

كذلك هناك نوع من الطيور هو "غراب العقعق" أشار فوشيه إلى أنه لم يراه في فلسطين[٩١]. والواقع أن هذا النوع من الطيور موجود في فلسطين[٩٢]، ولكن فوشيه لم يوفق في رؤيته. وغراب العقعق أو كما يطلق عليه "العقعق" اسمه العلمي Magpie. وهو نوع من الطيور يتبع رتبة العصفوريات في المملكة الحيوانية. ويبلغ طوله نحو ٤٥ سنتيمتراً، ووزنه نحو ٢٣٠ جرام. ويعيش في البيئات الزراعية المكشوفة والمتنزهات والبساتين. ويتغذى على بيض وفراخ الطيور الأخرى، كذلك على الحشرات والديدان. ويبني عشه في الأشجار العالية، ويستعمل الطين لتقوية هذا العش. ويفقس بيضه بعد ١٧ يوم. وتغادر الفراخ العش بعد ٢٣ يوماً من الفقس. وفي المنطقة العربية يوجد العقعق في مصر، وأعالي الشام، والمناطق الغربية من فلسطين وفي جنوب شبه الجزيرة العربية[٩٣].

ولا يعرف على وجه التحديد سبب اهتمام فوشيه بملاحظة هذا الطائر بالذات. ومن الواضح أن فوشيه ليس لديه الكثير من المعلومات عن غراب العقعق. فلم يذكر لنا صفاته أو مظهره الخارجي، واكتفى بأنه لم يشاهد هذا النوع من الطيور في فلسطين. وأياً كان الأمر، فتعلق فوشيه على عدم رؤيته لغراب العقعق في فلسطين فيه دلالة على عدم اكتفاء فوشيه بملاحظة الحيوانات والأسماك فقط، بل ولاحظ الطيور أيضاً ودقق فيها وراقبها، ولم يجد من بينها غراب العقعق. وهذه الإشارة فيها إضافة جديدة إلى اهتمامات فوشيه لطائفة أخرى من المملكة الحيوانية متمثلة في "مملكة الطيور".

وطائر الشادي أيضاً لم يشاهده فوشيه في فلسطين[٩٤]. وهذا الطائر يتبع رتبة الوقواقيات، وهى إحدى رتب الطيور. والاسم العلمي للشادي توراكو Tauraco. وهناك أنواع عديدة منه، فهناك التوراكو الغيني، والتوراكو الاسود المنقار، والشالوي والتوراكو الليفنجيستوني، وأنواع أخرى منه. حيث يبلغ عدد أنواعه ثمانية عشر نوعاً. وهو طائر ذو مظهر جميل، له تاج من الشعر المصفف فوق رأسه، مما جعل البعض يطلق عليه "صاحب التاج الجميل". وغذائه الحشرات الصغيرة والقواقع والرخويات ولكنها تقبل بشكل كبير على الفواكه. وهو طائر متوسط الحجم نسبياً حيث يبلغ طوله نحو ٤٥ سنتيمتراً، ووزنه نحو "٢٦٢ جرام" إلى "٣٨٠ جرام". وتتميز مختلف أنواع الشادي (التوراكو) بألوانها الزاهية المبهجة مثل الأخضر، والأزرق، والوردي وغيرها من الألوان[٩٥].

ومعلومة فوشيه عن طائر الشادي صحيحة، فهذا الطائر غير موجود في فلسطين ولا في بقية بلاد الشام. وإنما يوجد في مناطق أخرى من قارات آسيا وأفريقيا وأوربا[٩٦]. وفوشيه، على ما يبدو، لديه معلومات كثيرة عن طائر الشادي، وربما شاهده وراقبه من قبل في الغرب، إلا أنه بخل علينا بإضافة أية معلومات عن هذا الطائر. وربما كان السبب في ذلك هو الإطار السياسي لمصدر فوشيه والذي يتمحور حول تاريخ الحملة الصليبية الأولى وعهد ملوك مملكة بيت المقدس الأوائل. ولذا لم يرغب في اعطاء تفاصيل عن كثير من الحيوانات والطيور التي ذكرها في كتابه. وعلى أية حال، فإن فوشيه محب للتاريخ الطبيعي، إلا أنه غير مثابر وغير صبور في جمع المعلومات عن كافة الحيوانات التي ذكرها.

وعرض فوشيه لحيواناً آخر يدعى "الكمير Chemira"، وأشر إلى أنه يوجد في مصر، حيث قال:

"هنالك في مصر حيوان آخر يدعونه الكمير، وهو طويل في مقدمته، وليس في مؤخرته. وهم يلقون عليه أيام الأعياد أنفس عباءة، بالإضافة إلى أشياء فخمة أخرى يرغبون أن يخدموا بها أميرهم"[٩٧].

وهنا خرج فوشيه في ملاحظته للحياة الحيوانية عن حيز فلسطين وقفز إلى مصر واصفاً حيوان الكمير، الذي أشار إلى أنه حيوان "طويل في مقدمته، و ليس في مؤخرته"، مما يوحي للمرء أن ربما قصد "الزرافة". ولكنه لم يورد أهم صفات الزرافة وهى طول العنق. كما أنه لم يرد تزيين الزراف في الاحتفالات العامة في مصر آنئذٍ. مما يبعث على الشك في أنه قصد الزرافة فعلاً بوصفه السابق. وواقع الأمر أن فوشيه ذكر كلمة "كمير Chemira"، وهى كلمة مأخوذة من التراث اليوناني وتعني مخلوق أسطوري له رأس أسد وجسم شاه[٩٨]. وربما قصد فوشيه حيوان آخر في مصر غريب بالنسبة له، وعندمل لم يجد ما يصف به هذا الحيوان، والذي يبدو وكأن فوشيه سمع عنه ولم يراه، أطلق عليه اسم "كمير" وتعني حيوان غريب أوغير معروف بالنسبة له. أو ربما قصد فوشيه حيوان "الكميت" وليس "الكمير". فالأول هو الفرس الشديد الحمرة، أسود في ذنبه وغرته[٩٩]. وهذا الأمر هو الأقرب إلى الصواب، فالخيل الأحمر ينطبق عليه وصف فوشيه، فهو طويل قليلاً في مقدمته عن مؤخرته، كما أنه كان يزين بأغلى الأثواب في الاحتفالات، ويقدم كهدايا للأمراء.

ومن المحتمل أن فوشيه قصد بهذا الحيوان "الزرافة"، كما رجح ذلك هاجنمير في تعليقه على النص اللاتيني لكتاب فوشيه[١٠٠]. وقد رجح البعض هذا الرأي[١٠١]. والواقع أن الزراف كان موجوداً بالفعل في قصور حكام مصر منذ وقت طويل. وورد ذكر الزراف في مصر كنوع من الجزية في "إتفاقية البقط" التي عقدت بين ملوك النوبة والمسلمين الفاتحين لمصر عام ٦٥١م/٣٠هـ. وقد ذكر البلاذري أن أهل النوبة ألزموا بدفع جزية سنوية، حوالي ٣٦٠ عبداً صحيحاً سليماً بالإضافة إلى زرافة. وقد بقيت هذه الإتفاقية سارية سنين عديدة. وقد تم تعديلها في عهد الدولة العباسية. وفي هذا التعديل شملت أيضاً زرافة وعدد من الرقيق الصحيح، حوالي ٣٦٠ عبداً[١٠٢]. وعلى هذا استمر توافد الزراف إلى مصر على مر السنين. مما يعني وجوده في قصور الخلفاء الفاطميين في مصر في الوقت الذي كتب فيه فوشيه روايته. وأياً كان الأمر، فإن فوشيه اهتم بالحديث عن هذا الحيوان، سواء كان شاهده بعينه أو سمع عنه.

وعلى أية حال، لم يقدم فوشيه دلالة واضحة عن هذا الحيوان. ويظل الكميت سراً من أسرار فوشيه التي دفنت معه حتى يقع العلم على غير ذلك، ويوضح لنا ما غمض علينا من أمر هذا الحيوان.

كذلك أورد فوشيه حيواناً آخر خارج أرض فلسطين، وبالتحديد في نيل مصر، وهو "فرس النهر"، حيث قال:

"أما جاموس النهر (فرس النهر) فيعيش في نهر النيل، وكذلك في الهند. وهو يشبه الفرس في ظهره وعرفه وفي صهيله وشموخ أنفه، وإنشقاق مخالبه، وإلتصاق أسنانه وإلتواء ذيله. وهو يرعى في حقول الحنطة في الليل فيقترب منها مغرباً وجهه عنها في مكر وخديعة، ويترك أثراً مضللاً لكي لا ينصب له أحد فخاً في طريق عودته. ويفوق جسد هذا الحيوان الفيل ضخامة"[١٠٣].

وقبل الخوض في ملاحظة فوشيه ينبغي التطرق لمعرفة فرس النهر عن قرب. فالاسم العلمي لهذا الحيوان Hippopotamus amphibius. ويعرف في اللغة العربية باسم "البرنيق"، وكذلك بـ "سيد قشطة". وهو حيوان عاشب، شبه مائى، يستوطن البحيرات والأنهار في أفريقيا، وخاصة نهر النيل. ويعيش في مجموعات يبلغ عدد الواحدة منها نحو (٤٠) رأساً. وهو يبحث عن الماء ليبقى فيه أكبر فترة ممكنة لتبريد جسمه. والحيتان أقرب الحيوانات إلى فرس النهر، إلى أنها تعيش في المحيطات. وأفراس النهر سريعة في الركض، على الرغم من قصر قوائمها. وتعد من أشد الحيوانات خطورة على الإنسان[١٠٤].

ويلاحظ على وصف فوشيه لفرس النهر عدة ملاحظات: ففوشيه خرج عن إطار وصفه لحيوانات فلسطين، فتطرق لوصف حيوانات خارجها. فوصف فرس النهر، وأشار إلى أنه يوجد في نيل مصر وأنهار الهند. وهذه معلومة صحيحية، ولكن من الواضح أن فوشيه قد سمع عن فرس النهر ولكنه لم يراه. وهو لم يشر صراحة إلى ذلك، ولكن فوشيه إذا كان قد رأى فرس النهر بالفعل لصرح بذلك لقرائه، ولكن ذلك لم يحدث. وعلى أية حال، فتطرق فوشيه لذكر حيوانات خارج أرض فلسطين قد يوحي للبعض بأن هذا يعد تحايل من فوشيه للحشو والزيادة في كتابه. حيث أنه عندما لم يجد ما يكتبه شرع في الكتابة عن أوصاف الحيوانات داخل مملكة بيت المقدس وخارجها. كما أن ذلك قد يوحي للبعض الآخر بأن فوشيه جاد في الاهتمام بذكر ما سمع عنه من أصناف الحيوانات. وأياً كان الأمر، فهذا يعد تميزاً وتفرداً لفوشيه عن غيره من المؤرخين اللاتين المعاصرين واللاحقين لعصر الحروب الصليبية، والذين لم يبدوا ذلك الاهتمام لتلك التواريخ الاستثنائية المتمثلة في الظواهر الطبيعية والنواحي الحضارية غير التقليدية في حياة الصليبيين في الشرق.

كذلك هناك بعض الأخطاء والسذاجة في وصف فوشيه لفرس النهر. حيث وصف فرس النهر بأنه يشبه الفرس (الخيل) من نواح كثيرة. والواقع أنه لا يشبه الفرس في شئ. فعنق فرس النهر وقوائمه وذنبه قصير، على عكس الفرس[١٠٥]. كما أن صوت فرس النهر يشبه صهيل البغل، وهو أشبه بالجاموس منه بالفرس[١٠٦]. وعلى أية حال، فإن فوشيه له عذره في ذلك. فهو، على ما يبدو، لم ير فرس النهر، ولكنه سمع عنه. ولذلك فمن المرجح أن فوشيه إذا ما أتيح له رؤية فرس النهر، لاختلف وصفه عما ورد في كتابه الذي بين أيدينا. وأياً كان الأمر، فهذا لا يقلل من كونه ملاحظ جيد ومدون جاد لما يسمع ويرى.

من ناحية أخري، يلاحظ أن منهجية فوشيه في تناوله لموضوع فرس النهر لا تتساوى مع منهجية الدميري في تناوله لهذا الموضوع. فالأخير تناول فرس النهر من حيث تعريفه، وهيئته، وحكم أكل لحمه، وفوائد أعضائه العلاجية ثم اختتم، كعادته مع جميع الحيوانات التي درسها، برؤية فرس النهر في المنام وتفسير العلماء لمثل تلك الرؤية[١٠٧]. وهنا فارق شاسع بين منهج العالم العربي الفذ الدميري وبين منهج فوشيه وملاحظاته السطحية عن فرس النهر. وهذا الفارق الكبير بين الدميري وفوشيه له دلالته في ذلك العصر. فهو يوضح الفارق الكبير بين المشرق الإسلامي والغرب الأوربي في تقدم العلوم الطبيعية، وخاصة علم دراسة الحيوان.

وانتقل فوشيه لوصف أنواع من الحيوانات التي نقلها من التراث الكلاسيكي مباشرة، ولم يشر إلى وجودها في فلسطين أو في أية منطقة أخرى. وهنا ذكر نحو ٢٥ نزعاً من الحيوانات، تنوعت ما بين الزواحف والثدييات والحشرات. ومن بين هذه الحيوانات اهتم فوشيه بالحيات والأفاعي بشكل خاص، حيث خصص لها فصلاً كاملاً من الكتاب الثالث من تاريخه[١٠٨]. ولا يعرف سبب اهتمام فوشيه بالأفاعي على وجه التحديد. ولكن ربما كان لهذا الحيوان حضور وتأثير كبير في زمن فوشيه في الشرق. أو ربما يكون لتأثر فوشيه بالكتاب المقدس، فقد أورد عبارة منقولة نصاً من اصحاح متى، وهى: "وأعطى الحكمة للثعبان"[١٠٩]. فربما كان إعجابه بحكمة الثعبان سبباً في اهتمامه بالأنواع العديدة من الثعابين. أو ربما كان ذلك راجعاً إلى تأثر فوشيه بالتراث الكلاسيكي فاقتبس ما اقتبس من أنواع الثعابين التي وردت عند بلينوس أو عند سولينوس أو غيرهما من الكتاب الكلاسيكيين. وعلى أية حال، فقد أدرج اقتبس ١٢ نوعاً من الثعابين هى: الهايمورهويس Haemorrhois، والكيراستيس Cerastes، والثعبان الراهب Prester، والأموديتاي Ammodytae، والسنشريس Cenchris، والأليفانتي Elephantiae، والشيرسيدري Chersydri، والشاميدراكونتيس Chamaedracontes، والسقطلة (الأسكيتال) Scytale، والدبساس Dipsas، والهيبنال Hypnale والثعبان السهم Iaculi. وهذه كلها ثعابين حقيقية مصنفة ضمن طائفة الزواحف. وهى متنوعة ما بين الثعابين والأفاعي،

وكلها تقريباً موجودة ومنقولة من التراث الكلاسيكي. وفيما يلي سنعرض لتناول فوشيه لكل واحد من هذه الثعابين على حدة.

وأول هذه الحيات التي ذكرها فوشيه، نوع يسمى الهايمورهويس، حيث قال:

"والحمراوية (الهايمورهويس) تمتص الدماء بعد العض. وهي تمتص الحياة من مجرى الدم في العروق"[١١٠].

والهايمورهويس أو الحمراوية هى نوع من الحيات، من طائفة الأحناش. اسمها العلمي Hemorrhois nummifer. وتعيش في مصر، وسوريا، وفلسطين، وصحراء شمال أفريقيا ومعظم مناطق الشرق الأوسط. وتوجد على جسم هذا النوع من الأفاعي بقع لامعة تشبه العملات. ويصل طولها نحو متر ونصف. وهى تتغذى على القوارض، والزواحف، والطيور والثعابين الأخرى[١١١].

وقد نقل فوشيه معلوماته عن هذه الحية مباشرة من سولينوس الذي نقل بدوره من بلينوس، وكلاهما، وكما أشار هاجنمير، كانوا لا يعرفون هذه الحية بشكل دقيق[١١٢]. ولهذا جاءت معلومات فوشيه عنها سطحية وبسيطة وقليلة إلى حد بعيد.

وعرض فوشيه نوعاً آخر من الحيات، متمثلة في أفعى الكيراستيس Cerastes، أوالأفعى المقرنة، كم تسمى في اللغة العربية، حيث قال:

"والمقرنة لها قرون أربع صغيرة، وهى تغطي جسدها بعناية في الرمل، ثم تبرز قرونها لكي تبدو وكأنها قوت، فتختفي وتقتل الطيور"[١١٣].

وقبل الخوض في تحليل رواية فوشيه ينبغي التعرف على الأفعى المقرنة عن قرب. فهى نوع من الزواحف من فصيلة الثعابين، ضمن جنس الثعابين القرناء. اسمها العلمي Cerastes gasperettii. وهي توجد في فلسطين وصحراء شمال أفريقيا والجزيرة العربية. وهى تحب المناطق الصحراوية الرملية والصخرية على حد سواء. وهى على درجة عالية من السمية. وتنشط في الصيد ليلاً. وهى تستعمل قرونها للصيد، حيث تدفن جسمها في الرمال ولا تظهر إلا قرونها التي تتحرك كأنها ديدان، فتنزل الطيور لأكلها، فتقوم الأفعى بالقفز على هذه الطيور، وتأكلها[١١٤].

ومعلومات فوشيه عن أفعى الكيراستيس قد حصل عليها من سولينوس، وهى صحيحة إلى حد بعيد، غير أن أفعى الكيراستيس لها قرنين فقط وليس أربعة قرون. وهى بالفعل تدفن جسمها في الرمال من أجل الصيد ومن أجل الاختباء من الحيوانات المفترسة ومن حرارة الجو أيضاً[١١٥]. والملاحظ أن معلومات فوشيه عن هذه الأفعى، على الرغم من صحتها، فإنها قليلة بشكل واضح. فيبدو أن نقله عن سولينوس كان محدوداً للغاية فيما يخص هذه الأفعى.

ثم تطرق فوشيه إلى الحديث عن نوع آخر من الحيات وهو ثعبان البرستا Prester أو (الثعبان الراهب)، وقال فوشيه في ذلك:

"أما البرستا فتصيب من تلدغه بتورم فاحش فيموت. ويحل التعفن عادة بعد الورم"[١١٦].

والثعبان الراهب هو نوع من الثعابين السامة التي تعيش في غرب وجنوب ووسط أوربا وغرب آسيا. وهذه الثعابين، على الرغم من سميتها، فإنها غير قاتلة. وهى تتغذى على الزواحف الأخرى والطيور وأعشاش الصقور وكذلك على الضفادع والحشرات. وهى لا تلدغ إلا من يهاجمها، مما يعني أنها ليست عدوانية. وتسبب للإنسان تورماً مكان لدغتها. وسمها يمكن أن يكون قاتلاً إذا لم يعالج المصاب بشكل سريع[١١٧].

ومعلومات فوشيه عن هذا الثعبان صحيحة بشكل كبير، وأكد ذلك هاجنمير[١١٨]. ويعد سولينوس مصدر معلومات فوشيه عن هذا الثعبان. فالفقرة التي عرضها فوشيه عن الثعبان الراهب منقولة حرفياً من سولينوس[١١٩]. ولكن فوشيه لم يصرح بذلك. وعلى ما يبدو أنه لم يجد غضاضة في النقل الحرفي من المصادر الكلاسيكية. وكان الأحرى أن يضيف فوشيه مزيداً من المعلومات عن البرستا، إلا أنه اكتفى بالنقل الحرفي من سولينوس.

وفى إطار اهتمام فوشيه بالثعابين بشكل واضح، عرض لخمسة أنواع منها في عبارة واحدة، حيث قال:

"وهناك أيضاً الأموديتاي Ammodytae، والسنشريس Cenchris، والأليفانتاي Elephantiae، والشيرسيدري Chersydri، والشاميدراكونتس Chamaedracontes. وكل هذه الثعابين تقتل بسمها، ويكون تأثير سم كل منها مختلف عن سم الآخرى"[١٢٠].

وقبل الخوض في تفاصيل رواية فوشيه عن هذه الثعابين، لابد من التعرف عليها عن قرب. أما الأموديتاي فهى نوع من الأفاعي السامة البدينة التي لا يزيد طولها عن ٩٥ سنتيمتر تقريباً. وتسمى بالعربية "أفعى الرمال" و "الأفعى طويلة الأنف". وهى من الزواحف، وتتبع فصيلة الإفعوانيات. وهى تدفن جسدها في الرمال، ربما بهدف التخفي من المفترسات الأخرى. وتتعدد ألوانها ما بين الأصفر، والبني، والرمادي والرمادي الداكن. وتكسو جسدها بعض البقع الداكنة. أما موطن هذه الأفعى فهو جنوب ووسط أوربا وبلاد الشام وأفريقيا. وبالنسبة لغذاؤها الأساسي فهو صغار الثدييات والطيور والسحالي. وهى تقتل فرائسها الضخمة بالسم، أما الفرائس الأصغر فتبتلعها دون استخدام السم. وهى، بصفة عامة، أفاعي شديدية السمية[١٢١].

أما أفعى السنشريس، فهى نوع من الأفاعي الملونة والمرقطة. ولا يعرف عنها الكثير، إلا أن أشهر أنواعها يعيش اليوم في أمريكا الشمالية ويسمى بـ "الثعبان نحاسي الرأس Copperhead". وهذا النوع من الأفاعي ليس عدوانياً، ولكنه في ذات الوقت ثعبان سام. وغذاؤها الأساسي الضفادع والحشرات والسحالي[١٢٢].

أما أفعى الأليفانتاي أو أفعى داء الفيل، فلا يعرف عنها أي شئ سوى ما ذكره هاجنمير من أن هذه الأفاعي سميت بهذا الاسم لأنها تسبب داء الفيل[١٢٣].

وأفعى الشيرسيدري تعد من الثعابين السامة التي تأخذ اللون البني الداكن في كثير من الأحيان. كما تغطي جسدها الخارجي بقع بيضاء. ويبلغ طول هذه الأفاعي نحو ١٨ بوصة. وهى تعيش في وديان الأنهار الجافة[١٢٤]. وأضاف هاجنمير أنها ثعابين سامة تعيش على اليابسة وفي الماء على حد سواء. وهى تعيش في شمال أفريقيا[١٢٥].

وذكر فوشيه أفعى الشاميدراكونتس، وصنفها ضمن الأفاعي السامة. ولا يعرف أي شئ عن هذه الأفعى سوى ما ذكره فوشيه.

وهناك عدة ملاحظات على رواية فوشيه عن هذه الأفاعي الخمس. فقد ذكر المؤرخ هذه الأفاعي بشكل مختصر إلى حد بعيد، فقد أشار فقط إلى أسمائها ودرجة سميتها. ويبدو أنه اهتم بالناحية المهمة في هذه الأفاعي، من وجهة نظره، وهى مدى ضررها على الإنسان. أما خصائصها الظاهرية الخارجية، وكذلك بنائها الداخلي، فلم يتعرض له فوشيه. وربما كان له عذره في ذلك العصر. فالعلم لم يكن قد بلغ مبلغه بعد في التعرف والتقرب أكثر من هذه الأنواع من الأفاعي. وهكذا لم يكن أمام فوشيه من مصدر معلومات للتعرف على هذه الأنواع سوى الكتاب الكلاسيكيين، وعلى رأسهم الكاتب الروماني سولينوس. بل ربما كانت هذه المصادر الكلاسيكية هى السبب في معرفته بهذه الأنواع من الثعابين.

من ناحية أخرى، يلاحظ أن فوشيه اهتم بالزواحف بشكل خاص، والثعابين منها على وجه التحديد. ويزيد تركيز فوشيه على مدى ضرر هذا النوع أو ذاك على الإنسان. كما يلاحظ أنه تحدث عن هذه الثعابين بشكل عام، ولم يحدد المنطقة أو الإقليم الذى توجد فيه. وليس هناك تفسير لذلك سوى أن فوشيه نقل معلوماته عن هذه الثعابين من المصادر الكلاسيكية.

وفيما يتعلق بما ذكره فوشيه عن أفعى الأليفانتاي، أو أفعى داء الفيل، فقد ذكر فوشيه هذه الأفعى اسماً فقط ضمن الأفاعي القاتلة. ولم يقدم أية إشارة أخرى عنها. أما في كونها تسبب داء الفيل، فلم يثبت حديثاً أن لدغات أي نوع من الثعابين تسبب داء الفيل. وليس هناك تفسير لما ذكره فوشيه عن هذه الأفعى سوى أنه نقل معلوماته عنها من سولينوس مباشرة. بل يمكن القول أن هذه الفقرة الخاصة بالثعابين عند فوشيه قد نقلها كاملة من كتاب سولينوس[١٢٦].

وفيما يخص أفعى الشاميدراكونتس فلم يزد فوشيه عن وصفها بأنها أفعى سامة. وما ورد عن هذه الأفعى منقول مباشرة من سولينوس. وفي وقت مبكر من العصور الوسطى نقل إيزيدور الإشبيلي Isidore of Seville (٥٦٠ – ٦٣٦م)[١٢٧]، في كتابه عن الحيوانات، الكثير من المعلومات عن سولينوس. وعدد إيزيدور أنواع الأفاعي السامة، وذكر منها أفعى الشاميدراكونتس[١٢٨]. وفي عام ١٦٢٩م وضع كلود سوميز Claude Saumaise[١٢٩] تعليقاً على كتاب سولينوس في التاريخ الطبيعي، واعتبر الشاميدراكونتس نوعاً من الأفاعي[١٣٠]. وعلى الرغم من عدم تصنيفها حديثاً ضمن أنواع الأفاعي، فمن المحتمل أنها كانت موجودة من قبل وانقرضت. أو أنها موجودة بالفعل، ولكن علماء عصرنا الحالي لم يصلوا إليها أو لم يكتشفوها بعد.

ثم عرض فوشيه لأنواع أخرى من الأفاعي، فذكر أفعى السقطلة أو الأسكيتال Scytale، حيث قال:

"ويسطع ظهر السقطلة بضروب الألوان، ويأسر جمالها ألباب من يبصرها"[١٣١].

والسقطلة كلمة مستمدة من اليونانية وتعني "عصا". ولهذه الأفعى جسد ذو ملمس ناعم، وهو متساو في عرضه وطوله. أما ألوانها الخارجية فجذابة وساحرة. وتغطي جسدها كله دوائر سوداء وأخرى حمراء بالتناوب وبطول الجسم. وهى ليست عدوانية للإنسان. كما يمكنها أن تعيش على اليابسة وفي الماء[١٣٢].

وكالعادة، استمد فوشيه معلوماته عن السقطلة من سولينوس. وهذا لا يعني أنه لم ير السقطلة، فربما شاهدها من قبل وقارنها بما ورد في التراث الكلاسيكي. وعلى أية حال، أشار هاجنمير إلى أن كلود سوميز قد ذكر السقطلة أيضاً في تعليقه على كتاب سولينوس وبلينوس[١٣٣]. ومن ثم، فمن المرجح بشكل كبير أن السقطلة ذكرت في كتاب سولينوس، ونقلها عنه فوشيه.

ثم انتقل فوشيه لوصف أفعى الدبساس Dipsas (وتعني القاتلة بالعطش)، حيث قال:"وأما العطشاوية فتسبب العطش القاتل بلدغتها"[١٣٤].

والدبساس (العطشاوية) ثعبان صغير ونحيل. يتراوح طوله ما بين ٦٠ إلى ١٠٠ سنتيمتر. وألوانه عادة ما تكون مزيج من الأسود والبني. وأحياناً توجد حلقات بيضاء تفصل بين الأبيض والبني. وغذاؤها الرئيسي الرخويات والقواقع. وهناك أكثر من ٣٠ نوعاً مميزاً من هذه الثعابين. وهى تعيش في كل قارات العالم تقريباً[١٣٥].

ومعلومات فوشيه عن هذه الأفعى نقلها مباشرة من كتاب الشاعر الروماني لوكانوس Lucanus (٣٩ – ٦٥م) والذي بعنوان "فارساليا Pharsalia"[١٣٦] فقد ذكر لوكانوس أنها أفعى سامة تسبب الموت بإحداث العطش والجفاف لمن تلدغه[١٣٧]. وقد أكد هاجنمير صحة ما ورد من معلومات عن هذه الأفعى عند لوكانوس، كما اعتبر هاجنمير أن فوشيه ليس إلا ناقل للمعلومات من لوكانوس. فلم يزد فوشيه فيما ذكره عن هذه الأفعى عما ورد عند لوكانوس[١٣٨]. وهذا هو الأقرب إلى الصواب، ففوشيه ما هو إلا ناقل مجد للمعلومات، على الأقل فيما يخص تلك المعلومات التي أوردها عن الثعابين على وجه التحديد. ولكن هذا لا ينفي ولعه بالبيئة الطبيعية ودراسة حيوانات مملكة بيت المقدس وما جاورها من بلدان.

وأورد فوشيه نوعاً آخر من الأفاعى، متمثلاً في أفعى الهيبنال (أو الأفعى النوامة)، حيث قال:

"والنوامة تقتل بتسبيب النوم للمصاب، ويؤدي النوم إلى الوفاة، كما حدث مع كليوباترا"[١٣٩].

وأفعى الهيبنال أو النوامة، هى نوع من الأفاعي السامة التي تسبب النوم بلدغتها للإنسان، فيتأثر بسمها حتى الموت. ومن مسمياتها "الأفاعي ذات الحفر" حيث توجد حفرة عميقة في وجهها بين العين والأنف. ولا يزيد طول هذه الأفعى عن ٥٥ سنتيمتراً. وتعيش في الغابات، ونادراً ما تتواجد بالقرب من سكنى الإنسان. وهى تتغذى على السحالي، والضفادع، والزواحف، والثدييات الصغيرة والثعابين الأخرى[١٤٠].

وقد أشار هاجنمير إلى أن سوميز قد ذكر هذه الأفعى في تعليقه على كتاب سولينوس. ومن المحتمل أن فوشيه نقل معلوماته عن هذه الأفعى مباشرة من سولينوس[١٤١]. ومن المحتمل أيضاً أن فوشيه لم ير أفعى الهيبنال، وذلك لأن هذا النوع من الأفاعي يعيش في آسيا،وبالتحديد في الهند[١٤٢]. وعلى ذلك فمن المرجح أن فوشيه قرأ عن هذه الأفعى في كتب القدماء ثم نقل ما عرفه عنها في كتابه.

وأورد فوشيه نوعاً آخر من الثعابين، متمثلاً في ثعبان الإياكولى Iaculi، أو "الثعبان السهم"، حيث قال:

"وهناك الإياكولي الذي يضرب أي حيوان يسوقه القدر إلى طريقه"[١٤٣].

وهذا الثعبان غير معروف على وجه التحديد في عصرنا الحالي، غير أن اسم هذا الثعبان موجود في أكثر من موضع في كتاب سولينوس[١٤٤]. ويبدو أن فوشيه نقل معلوماته عن هذا الثعبان أيضاً من سولينوس، ولكنه لم يطل في وصفها. وقد يكون فوشيه، ومن قبله سولينوس، يقصدون بهذا الثعبان تلك الأفعى المسماة بـ "أفعى السهم الأرضية Arow Ground Snake". وهى أفعى لها جسم نحيف ورأس أشبه برأس السهم[١٤٥]. ولكن سولينوس ومن نقل عنه من بعده، ومنهم فوشيه، لم يقدموا المزيد من المعلومات التي تؤكد أنهم يقصدون "أفعى السهم الأرضية".

كما عرض فوشيه أنواع أخرى من الزواحف، نقلها في معظمها من التراث الكلاسيكي، وخاصة من سولينوس وبلينوس. ومن هذه الزواحف الحرباء Chamaeleon، وسحلية الباسيليق Basilicus، وسحلية الأمفيسباينا Amphisbaena، وسحلية السقنقور Scinci ثم سحلية اللاسيرتاي Lacertae.

أما الحرباء فهى من طائفة الزواحف في المملكة الحيوانية. اسمها العلمي Chamaeleonida، وهى حيوان مفترس يأكل القوارض الصغيرة والزواحف والحشرات. وهى تأكل عن طريق إخراج لسانها بسرعة نحو الحشرة حيث تلتقطها بلسانها المزود بمادة شديدة اللزوجة في مقدمته ثم تبتلعها. وباستطاعة بعض أنواع الحرباء تغيير لون جلدها تبعاً لألوان المكان الموجودة به. وهى تضم نحو ٨٣ نوعاً تنتشر في كل قارات العالم القديم (آسيا وأفريقيا وأوربا)[١٤٦].

ويلاحظ أن فوشيه ذكر الحرباء دون تحديد مكان تواجدها. كما أشار هاجنمير إلى أن معلومات فوشيه عن الحرباء أخذها من سولينوس[١٤٧]. وعلى الرغم من أن معلومات فوشيه عن الحرباء دقيقة ومفصلة، حيث يبدو أنه شاهد الحرباء بعينه، فإن ما عرضه عنها لا يتساوى مع ما عرضه الدميري. ففي حين كتب فوشيه ١٠ أسطر فقط عن الحرباء، أمدنا الدميري بأربعة صفحات عنها[١٤٨]. وجاءت معلومات الدميري مفصلة ومنظمة، على عكس فوشيه الذي قدم عن الحرباء معلومات متداخلة وغير منظمة. كذلك لا يتساوى ما قدمه فوشيه عن الحرباء مع ما قدمه الجاحظ عنها في كتاب "الحيوان"[١٤٩]. فالأخير لم يترك أمراً في الحرباء إلا وطرحه، مثله في ذلك مث الدميري.

وأبدى فوشيه سذاجة في تناول موضوع الحرباء. فقد ذكر أن "الغراب الأسود يعافها"[١٥٠]. فهذه المعلومة ليس لها دليل علمي. وقد أشار هاجنمير إلى ذلك في تحقيقه لكتاب فوشيه، حيث أوضح أن سلوك الغراب نحو الحرباء، والذي ذكره فوشيه، أمر خرافي، وليس له دليل في العلم[١٥١]. كذلك يبدو فوشيه غير منطقي عندما ذكر أن الحرباء "تقتل من يميتها"[١٥٢]. فلم يوضح لنا كيف تقتل الحرباء من يميتها؟ هل تقتله بالسم؟ أم أ، لحمها سام، ومن ثم يموت من يأكل منه؟ وعلى أية حال، يظل هذا أمراً مطروحاً أمام أهل العلم. ويبقى هذا الأمر سراً من أسرار فوشيه، أو بالأحرى سراً من أسرار سولينوس الذي نقل عنه فوشيه. وتبقي هذه المعلومات الساذجة محل نقد لفوشيه الذي أخذ معلوماته من مصادر قديمة دون محاولة تنقيحها أو نقدها للخروج بالحقيقة العلمية، ومن ثم بالحقيقة التاريخية إلى قارئه.

وتعرض فوشيه لنوع آخر من الزواحف متمثلاً في سحلية الباسيليق Basilicus[١٥٣]. وهى نوع من السحالي التي تسمى بالإنجليزية Basiliscus. وهى من فصيلة السحالي المخوذة (أي التي لها ما يشبه الخوذة فوق رؤوسها). وهى تستطيع الجري فوق سطح الماء، وكذلك الاختباء في الرمال. ويبلغ طولها نحو ٧٠ إلى ٧٥ ملليمتر. ولها عرف شوكي يمتد بطول جسدها كالشراع، ويظهر فوق رأس السحلية كالعرف[١٥٤].

والملاحظ أن فوشيه اعتبر سحلية الباسيليق نوعاً من الأفاعي. وعلى الرغم من أن معلومات فوشيه صحيحة عن هذه السحلية، فإنها معلومات منقوصة وغير كاملة. فقد جعل فوشيه من هذه السحلية كائناً أسطورياً يسمم الماء والهواء والتربة والحيوانات الأخرى التي تصطادها. كما جعل الثعابين تخافها وترتعد عند سماع هسيسها، فتفر هاربة[١٥٥]. وهل يصدق أن الثعابين الكبيرة والصغيرة تخاف سحلية طولها حوالي نصف قدم أو أقل. هنا بلا شك مبالغة وجانب أسطوري أضافه فوشيه عن هذه السحلية. وليس هناك تفسير لذلك سوى محدودية المعرفة العلمية في ذلك العصر، وكذلك تأثر فوشيه نفسه بالكتابات الكلاسيكية وبأساطير العصور الوسطى الغربية.

واللافت للنظر أن فوشيه لم يذكر أهم خاصية من خصائص سحلية الباسيليق، وهى قدرة هذه السحالي على المشي، بل والجري فوق الماء. وإنما قال:

"عندما يتحرك الباسيليق يزحف نصف جسده، وينتصف النصف الباقي قائماً"[١٥٦].

ففوشيه ذكر تحرك الباسيليق ونصف جسدها الأمامي منتصباً، ولكنه لم يحدد أن تحركها فوق الماء، بل اعتبره فوق اليابسة، حيث ذكر فعل "يزحف"، والزحف لا يكون إلا فوق اليابسة. فهذه السحالي مزودة ببطانات في أسفل أقدامها تساعدها على السير فوق الماء بسرعة كبيرة. وهى تجري فوق الماء على قدميها الخلفيتين. أما رأسها وقدميها الأماميتين فتكونان عموديتان على قدميها الخلفيتين. أى أنها تسير على قدميها الخلفيتين[١٥٧].

ويميل البعض إلى اعتبار الفصل الستين من الكتاب الثالث من تاريخ فوشيه[١٥٨]، والذي تناول فيه كل هذه الأنواع من الثعابين والسحالي، ما هو إلا حشو أراد فوشيه أن يشغل به وقته عندما لم يجد ما يكتبه[١٥٩]. والواقع أن فوشيه لا يقدم حشواً، ولكنه يقدم مادة أحبها، وربما حاول الاستمرار في دراستها، وهى البحث في طبيعة الحيوانات وصفاتها. إلا أن ظروف الحروب الصليبية وبداية تأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية، سيطرت على كتابات فوشيه بشكل واضح. الأمر الذي جعل رغبة فوشيه في دراسة طبيعة الحيوانات تتوارى وراء التاريخ السياسي للحروب الصليبية.

وتطرق فوشيه لذكر نوع آخر من السحالي، وهو سحلية الأمفيسباينا Amphisbaena، حيث قال:

"أما الأمفيسباينا فلها رأسان اثنان، يقع ثانيهما في الذيل"[١٦٠].

وحديث فوشيه عن سحية الأمفيسباينا مبهم، بل إنه سماها "ثعابين الأمفيسباينا". والواقع ما هى إلا نوع من السحالي الدودية العمياء التي لها رأس واحدة وليس رأسين. ولكن الذيل يأخذ شكل الرأس، وما هو برأس، وذلك بهدف التمويه والحماية من الحيوانات الأخرى المفترسة[١٦١]. وقد وقع فوشيه في خطأ عندما ذكر أن لها رأسان. فلا يوجد في عالم الطبيعة ثعابين ولا سحالي لها رأسين[١٦٢]. وأياً كان الأمر، فأخطاء فوشيه تلك وسذاجته فى وصف بعض طباع الحيوانات جعلته عرضة للنقد والإتهام بالحشو عن طريق اللجوء إلى سولينوس والنقل عنه[١٦٣].

وتعرض فوشيه بالوصف لنوعين آخرين من الزواحف هما سحلية السقنقور Scinci، وسحلية اللاسيرتاي Lacertae[١٦٤]. أما السقنقور فهى نوع من السحالي تشبه التمساح. وهى شائعة في آسيا وأفريقيا. والسقنقور نوعان: هندي ومصري. والسقنقور يوجد على الدوام بالقرب من مناطق وجود المياه. وجلدها ألين من جلد الزواحف الأخرى. وظهر السقنقور أصفر اللون، يتداخل فيه الأسود الخافت. وللسقنقور فوائد علاجية متعددة[١٦٥]. أما سحلية اللاسيرتاي فهى نوع من السحالي غير معروف حالياً، وربما انقرضت من العالم[١٦٦].

وهذه الفقرة الخاصة بالسقنقور واللاسيرتاي نقلها فوشيه كاملة من سولينوس[١٦٧]، الذي اعتبر هذه الكائنات من الديدان، ونقل عنه فوشيه حرفياً تلك المعلومة. ولا يعرف سبب تصنيف فوشيه لهذه الأنواع كديدان. ربما كان هناك تصنيف معروف للحيوانات في عصر سولينوس جعل هذه السحالي تحت طائفة الديدان، مع أنها ليست على شكل الديدان، وليس لها خصائص وصفات الديدان.

وفيما يخص سحلية اللاسيرتاي، على وجه التحديد، فليس لها وجود في عصرنا الحالي. وربما كانت موجودة في عصر سولينوس، وهو ما جعله يذكرها في كتابه. وربما كانت موجودة أيضاً في زمن فوشيه، وهو ما جعله يطلع عليها ويصفها. وقد يكون فوشيه مجرد ناقل لمعلوماته عن هذه السحلية من سولينوس. وأياً كان الأمر، فليس هناك وجود للاسيرتاي في أنواع السحالي المعروفة في عصرنا الحالي. وهذا يوضح أنها كانت موجودة في العصور القديمة، ولم يبق منها سوى اسمها في المعاجم اللاتينية.

وتعرض فوشيه لوصف العقرب Scorpiones، عندما وصف سحلية السقنقور واللاسيرتاي، واعتبره أيضاً نوعاً من الديدان، حيث قال:

"أما العقرب والسقنقور واللاسيرتاي، فتقع كلها تحت صنف الديدان لا الثعابين"[١٦٨].

والعقرب حيوان من طائفة العنكبيات Arachnida، رتبة العقارب. واسم العقرب العلمي Scorpiones. وله ثمانية أقدام، وهو يعيش في المناطق الحارة. ويتغذى على الحشرات والعظاءات الصغيرة. ويبلغ طول العقرب من ٨ إلى ١٠ سنتيمترات. وهو يقتل فرائسه بالسم. ويوجد العديد من أنواع العقارب في كل قارات العالم[١٦٩].

ويلاحظ أن فوشيه اعتبر العقرب أيضاً من الديدان، شأنه في ذلك شأن سحلية السقنقور وسحلية اللاسيرتاي. ويبدو أن فوشيه نقل معلوماته عن العقرب من سولينوس. ولا يعرف سبب تصنيف، كل من سولينوس وفوشيه، للعقرب ضمن الديدان. وعلى أية حال، فالعقرب، وكما ذكرنا، من طائفة العنكبيات في المملكة الحيوانية. والجدير بالذكر أن المؤرخ الألماني هاجنمير فقد اعتبر العقرب من الحشرات Insects ولي من العنكبيات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[١٧٠]. وإذا كان هاجنمير قد اعتبر العقرب من الحشرات في العصر الحديث، فإن كل من سولينوس وفوشيه قد صنف العقرب ربما طبقاً لتصنيف الحيوانات الموجود في عصر كل منهما.

ثم تحول فوشيه لوصف أنماط من الثدييات، فوصف النمور والفهود والأيائل. أما النمور Tigribus فقد خص منها فوشيه بالذكر نمر منطقة هيركانيا Hyrcani أو (النمر القزويني)[١٧١] الذي يقطن المناطق المحيطة ببحر قزوين. والنمر القزويني، بصفة عامة، حيوان ثديي من فصيلة السنوريات (الهريات)، والتي منها النمور والأسود والفهود والقطط. ويقطن هذا النمر مناطق أواسط آسيا حتى جنوبي بحر قزوين وشرقي البحر الأسود. ويوجد منه نحو ٤١ نوعاً في العالم. ويقال أن النمر القزويني قد انقرض منذ خمسينيات القرن العشرين. وهناك شواهد توضح أنه لا يزال موجود، ولكنه يعيش في الأماكن النائية[١٧٢].

ومن الواضح هنا أن فوشيه قفز بنا بعيداً إلى منطقة في جنوبي بحر قزوين. وتحدث عن النمر القزويني. ومن الواضح أيضاً أن فوشيه لم ير هذه المناطق، وما نقله لنا عن نمر منطقة هيركانيا قد أخذه من سولينوس(١٧٣). وقد جاءت معلومات فوشيه عن هذا النمر سطحية. فلم يذكر عنه سوى أنه مرقط بترقيطات صفراء لامعة، وأنه حيوان سريع العدو. وهذه بالطبع معلومات غير كافية عن حيوان معروف كالنمر. ثم يتسائل فوشيه في سذاجة عن سبب سرعة النمر، هل هى بسبب رشاقة حركته؟ أم بسبب عزمه. ولا يعطي جواباً شافياً عن ذلك. وإذا ما قارنا ما كتبه فوشيه عن النمور مع ما كتبه الدميري، نقول لا يتساوى ما أورده فوشيه مع ما أورده الدميري، ذلك العالم الموسوعي الفذ. فقد خص الأخير ست صفحات كاملة عن النمر(١٧٤)، وذلك في مقابل خمسة أسطر عند فوشيه. فالدميري لم يترك شيئاً إلا وذكره عن هذا الحيوان. وهذا يدل على الفارق الثقافي الشاسع بين العرب والغرب في العصور الوسطى.

ثم انتقل فوشيه من وصف نمور هيركانيا إلى وصف فهود هيركانيا Pantherae(١٧٥). ولكنه لم يقدم عن الفهود سوى ما أخذه عن سولينوس(١٧٦). والفهود بصفة عامة ثدييات من فصيلة السنوريات. وهو، في هيئته وصفاته، مزيج بين الكلب والنمر. وذكر كثيراً في التراث العربي. ويصل طول جسد الفهد من ١٠٠ سنتيمتر إلى ١٣٠ سنتيمتر تقريباً، بينما يصل ارتفاع جسده نحو ٧٥ سنتيمتر تقريباً. وأنواع الفهود ثلاثة: فهد أعرف، وهو الذي يوجد في الهند وبلاد العرب وغرب أفريقيا. وفهد أرقط، وهو الذى يوجد في بحر قزوين وشمال أفريقيا. ثم الفهد الأوبر، وهو يوجد في الجزء الجنوبي من قارة أفريقيا(١٧٧).

وجاء وصف فوشيه للفهد سطحياً بشكل كبير. فقد اكتفى بوصف المظهر الخارجي له وما يغطي جسده من ترقيطات. كما كان فوشيه ساذجاً في حديثه عن فرائس ذلك الحيوان. فقد ذكر أن هذه الفرائس عندما تكون مجتمعة في قطعانها لا تخاف الفهد، ولكن تخشى فقط من منظر أنيابه. وهو هنا اكتفى بهذه اللمحة الساذجة عن فرائس الفهد بدلاً من أن يقدم لنا استراتيجيته في الصيد أو صفاته الداخلية. وعلى أية حال، فإن فوشيه لا يعرف عن الفهود سوى ذلك. ومن الواضح أن فوشيه نقل تلك المعلومات من سولينوس دون أية إضافات من جانبه. ولعل هذه السطحية في وصف الحيوانات هى التي جعلته عرضة للنقد والاتهام بالحشو والزيادة التي ليس لها مبرر في النص.

وذكر فوشيه نوعاً آخر من الثدييات متمثلاً في الأيائل Alces، حيث قال:

"يشابه الآيل البغال ببروز شفته العليا. ولهذا السبب لا يستطيع أن يرعى إلا إذا مشى إلى الخلف"[١٧٨].

والأيائل تتبع الثدييات، وهى من رتبة الحيوانات مزدوجة الأظلاف. واسمها العلمي Cervidae، وتسمى بالإنجليزية Deer، وباللاتينية Alce، وجمعها Alces. وهى حيوانات عاشبة تعيش من ١٠ إلى ٢٠ عاماً. ويوجد من الأيائل نحو ستين نوعاً تعيش في معظم قارات العالم، عدا أستراليا، وكذلك أفريقيا التي لا يوجد بها سوى القليل من الأيائل[١٧٩].

ويلاحظ على رواية الأيائل عند فوشيه عدة ملاحظات. فقد أشار هاجنمير إلى أن معلومة فوشيه قد نقلها، وكالعادة، من سولينوس[١٨٠]. كما أن فوشيه لم يحدد مكان معين لتلك الأيائل التي ذكرها. وقد حدد هاجنمير تلك الأيائل التي قصدها فوشيه، حيث أشار إلى أنها من الأيائل التي تعيش في شمالي روسيا[١٨١]. وعلى أية حال، فإن معلومات فوشيه عن الأيائل سطحية ومحدودة بشكل واضح.

وتعرض فوشيه لذكر حشرة البق Cimice بشكل سريع، حيث قال:

"لقد زودنا الله بالدواء في حشرة البق"[١٨٢].

والبق حشرة من نوع الحشرات مفصليات الأرجل. يصل طول الواحدة منها إلى حوالي ٤/١ بوصة. وهى تتغذى على دماء عوائلها بشكل عام. وهى تنشط ليلاً وتختبئ في النهار[١٨٣].

ويلاحظ أن فوشيه جعل لحشرة البق فائدة طبية. ولم يرد في علم الحشرات عند العلماء المحدثين أية إشارة إلى وجود دواء معين في حشرة البق. بل على العكس، فإن البق حشرة ضارة قد تنقل الأمراض من دم فرد إلى دم الآخر. ولا يعرف مصدر فوشيه لهذه المعلومة، فلم يشر هاجنمير إلى أنه أخذها من سولينوس[١٨٤]. وتظل معلومة فوشيه عن حشرة البق أمراً غامضاً وليس لها دليل علمي تستند إليه.

واتجه فوشيه لوصف كائنين بحريين هما، المرجان Polypo وقنفذ البحر Echino، حيث قال:

"ومنح الله الدهاء للمرجان ولقنفذ البحر"[١٨٥].

والمرجان حيوان بحري يعيش في المياه الضحلة في أعداد كبيرة مكوناً ما يسمى بالمستعمرات المرجانية أو الشعاب المرجانية. كل مستعمرة تتكون من نوع واحد من المرجان. وهذه الحيوانات تفرز هيكلاً من كربونات الكالسيوم الذي يعطيها الشكل الصلب. وهى كائنات حية لها نظام بيولوجي معقد، ولها حساسية خاصة للمتغيرات البيئية من حولها، مثل التغيرات المناخية، ودرجة الحرارة، والضوء ودرجة الملوحة وغيرها من التغيرات[١٨٦].

وغير معروف مصدر معلومات فوشيه عن المرجان، ولماذا وصفه بالدهاء. فربما اعتمد على مصدر كلاسيكي ولكنه مفقود وغير معروف بالنسبة لنا. وأياً كان الأمر، فربما كانت صفات المرجان في تأثره الزائد بالعوامل البيئية المحيطة هى التي جعلت فوشيه يصفه بالدهاء. أو أن فوشيه نقل هذه المعلومة مباشرة من الكتاب المقدس (متى ١٠ : ١٦)، حيث وردت هذه العبارة في اصحاح متى.

أما فيما يتعلق بقنفذ البحر، والذي وصفه فوشيه أيضاً بالدهاء، فهو حيوان بحري من فصيلة شوكيات الجلد. وهو يسكن جميع المحيطات، ولونه ما بين الأسود والرمادي. ويتحرك قنفذ البحر ببطء متغذياً على الطحالب والفطريات في قاع المحيط. ويصطاده الإنسان ويستخدم بطارخه في الطعام[١٨٧].

ومصدر معلومات فوشيه عن قنفذ البحر غير معروف، إلا أن نفس هذه العبارة، وكما أسلفنا القول، موجودة في اصحاح متى (١٠ : ١٦). بناءً على ذلك فإن فوشيه أخذ معلومته من الكتاب المقدس. ولكن الكتاب المقدس وحده لا يكفي كمصدر معلومات عن حيوانات بحرية معروفة كقنفذ البحر. وعلى أية حال، وصف فوشيه قنفذ البحر بالدهاء، ولكنه لم يوضح السبب في هذا الوصف، ولم يبين سبب هذا الدهاء الذي لصقه بقنفذ البحر. وهكذا، يمكن التقرير بأن نقل فوشيه من الكتاب المقدس كان دون نقد وفحص أو تحليل لهذه المعلومة.

وفي ختام هذه الدراسة خلصنا إلى عدد من النتائج، يمكن إيرادها فيما يلي: لم يضع فوشيه لنفسه منهجاً ثابتاً في وصفه للحيوانات التي ذكرها في كتابه. فتارة يعطي تفاسير وأوصاف كثيرة لبعض الحيوانات، كما فعل مع الجراد، وفرس النهر والثعابين. وتارة أخرى يذكر صفة واحدة عن الحيوان ويكتفي بذلك، مثلما فعل مع حشرة البق، والمرجان وقنفذ البحر. وهو في ذلك لا يتساوى مع موضوعية العالم العربي الفذ المتخصص، الدميري في كتابه "حياة الحيوان الكبرى". فقد كان الأخير يستعرض الحيوان من كافة النواحي، من الولادة، وأماكن تواجد الحيوان، وغذاؤه، وتكاثره، ووجوده في التراث العربي، والنواحي العلاجية التي يدخل فيها هذا الحيوان، ثم يختتم برؤية هذا الحيوان في المنام وتفسير ذلك من القرآن والسنة والتراث العربي. وهذا بالطبع يدل على الفارق العلمي والثقافي الكبير بين الشرق والغرب في العصور الوسطى.

كذلك يلاحظ أن فوشيه يزيد في وصف الحيوانات التي قرأ عنها عند سولينوس بشل خاص، أما ما لم يقرأ عنه فيورده بصورة مختصرة تقريباً. والدليل على ذلك وصفه للتمساح، وفرس النهر، والفهود، والأيائل والحرباء. في حين ما يقرأ عنه عند سولينوس كالبق، والمرجان وقنفذ البحر فقد جاء مختصر بشكل واضح. وهذا بدوره يدل على اعتماد فوشيه على كتاب سولينوس في التاريخ الطبيعي بشكل كبير، مع عدم إشارته إلى هذا المصدر الكلاسيكي.

كان فوشيه، في بعض الأحيان، ينقل بشكل حرفي من سولينوس. فقد نقل معلومات عن طائر العنقاء (الرخم)، وهو طائر أسطوري، حرفياً من سولينوس. وهذا النقل الحرفي هو الذي أوقع فوشيه في شرك النقد والاتهام بالحشو عندما لا يجد ما يقدمه لقرائه. كذلك كان هناك تداخل لحيوانات أسطورية بين ثنايا الحيوانات الحقيقية التي عرض لها فوشيه. وكان من الأفضل أن يفصل فوشيه بين الحيوانات الحقيقية وتلك الأسطورية، ولكن هذا لم يحدث. الأمر الذي جعل فوشيه موضع نقد وشك في قلة معلوماته عن البيئة الطبيعية في مملكة بيت المقدس الصليبية، خاصة وأنه عاش فترة كبيرة من حياته هناك.

اعتمد فوشيه على ثلاثة مصادر رئيسية في معلوماته عن الحيوانات التي استعرضها. وهذه المصادر هى المصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية، والكتاب المقدس ثم الرؤية العينية المباشرة للحيوانات. ويمكننا أن نقرر أن اعتماده على المصادر الكلاسيكية تفوق على رؤيته العينية وملاحظته المباشرة للحيوانات التي وصفها. كما تفوقت أيضاً المصادر الكلاسيكية عنده على اعتماده على الكتاب المقدس، والذي يعد أقل المصادر التي اعتمد عليها فوشيه. فلم تقابل الباحث طوال هذه الدراسة سوى اقتباس واحد يخص عالم الحيوان من الكتاب المقدس، وذلك عندما وصف الثعبان بالحكمة (متى ١٠: ١٦).

يلاحظ أن فوشيه قد أكثر من وصف الزواحف بشكل خاص عن بقية طوائف المملكة الحيوانية. ومن بين الزواحف اهتم فوشيه بالثعابين، حيث وصف ٢٥ نوعاً منها. وكان الكتاب الكلاسيكيين، وعلى رأسهم سولينوس وبلينوس، هم مصدر معلوماته في كل أنواع الزواحف التي وصفها. وليس هناك تفسير لتركيز فوشيه على الزواحف سوى تأثره بالمصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية بدرجة كبيرة.

وأشار فوشيه إلى حيوانات بعينها، وذكر أنه لم يراها في فلسطين، مثل الحوت، وسمك الجلكي، وغراب العقعق وطائر الشادي. وهذا دليل على أن فوشيه قد رأى هذه الحيوانات في الغرب ولاحظها وراقبها، وإلا ما لفت انتباهه عدم وجود هذه الأنواع بالتحديد فيى فلسطين. وهذا أيضاً يقوم دليلاً على أن مؤرخنا ملاحظ ومراقب جيد للبيئة الطبيعية، وخاصة الحياة الحيوانية، في بلاده في الغرب وفي الشرق أيضاً.

من ناحية أخرى، هناك حيوانات ذكر فوشيه أنه سمع عنها في مصر مثل حيوان الكميت وفرس النهر. وقد قدم فوشيه وصفاً كاملاً لهذين النوعين من الحيوانات، على الرغم من وجودهما خارج أرض فلسطين. وهذا يعني أن فوشيه كان حريصاً على التقصي والسماع وجمع المعلومات عن الحيوانات الغريبة بالنسبة له، حتى وإن كانت هذه الأنواع موجودة خارج أرض فلسطين. مما يعني أننا أمام مؤرخ غير متخصص، مؤرخ متعدد المعارف والثقافات والميول والأهواء.

وكما نعلم فإن فوشيه قسم مصدره إلى ثلاثة كتب. تحدث بشكل موسع عن الحياة الحيوانية في الكتاب الثالث، أم الكتاب الأول فقد ذكر فيه بضعة أسطر عن الحياة الحيوانية. أما الكتاب الثاني فيكاد يخلو تقريباً من أي إشارة إلى الحياة الحيوانية. وعدم التجانس في مساحات وصف الحيوان عند فوشيه جعلته عرضة للنقد والاتهام بالحشو. وللوم الذى يستحقه فوشيه فعلاً هو عدم التجانس في توزيع فقرات وصف الحيوان بين الكتب الثلاثة التي ضمها مصدره. كما يلام فوشيه أيضاً على عدم تبنيه لنظرة علمية أو منهجية فيما قدمه من وصف للبيئة الحيوانية في الشرق. فقد وصف فوشيه حيوانات حقيقية تداخل معها وصف حيوانات أسطورية بالاضافة إلى نباتات وأشجار. وذلك كله في بيئات ومناطق جغرافية متعددة. الأمر الذي جعل القارئ يلهث ليحدد مكان هذا الكائن أو ذاك، وهل هو حقيقي أم أنه حيوان أسطوري وليس له وجود في عالم الواقع.

وختاماً فإن تعرض فوشيه للنقد بشكل متكرر، واتهامه بالحشو في مصدره، حيث أنه كثيراً ما لجأ إلى المؤرخ الروماني سولينوس، ونقل عنه أصناف الأنواع من الحيوانات. حتى أن الدكتور قاسم عبد قاسم، في ترجمته لمصدر فوشيه، قال عنه: "كما أن اعتماده على الكتاب الكلاسيكيين في وصف مظاهر الطبيعة، وعناصر البيئة من نبات وحيوان وطيور (على الرغم من مشاهداته الخاصة)، يبدو لنا في كثير من الأحيان نوعاً من الحشو أو الثرثرة التي يتسلى بها شيخ عجوز في أواخر أيامه". ولكن هذه الملاحظات في البيئة الطبيعية، وخاصة علم الحيوان، قد يكون من الأحرى ألا نعتبرها حشواً، إذ أنها أوضحت لنا شغف فوشيه بهذا الجانب من العلوم الطبيعية. وهذه الناحية من الاهتمام بحياة الحيوان هي التي جعلت مصدر فوشيه متميزاً ومتفرداً عن بقية المصادر اللاتينية المعاصرة له. فنحن أمام مؤرخ لاتيني غير تقليدي يهتم بالحياة الحيوانية في الوقت الذي يسجل فيه التاريخ السياسي لمملكة بيت المقدس الصليبية.

هوامش الدراسة

(١) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ (٧٦٧ - ٨٦٨م / ١٥٠ - ٢٥٥هـ). يرجع أصله إلى قبيلة كنانة. وكان مولده في البصرة، وتعلم فيها، وانتقل إلى بغداد في أوج شبابه. وكان الجاحظ قبيح المنظر، جاحظ العينين، إلا أنه كان أديباً عالماً متوقد الذكاء غزير العلم قوي اذاكرة. وللجاحظ الكثير من المؤلفات والتصانيف، أهمها: كتاب "البيان والتبيين" و "البخلاء، و "الحيوان". والأخير يعد من أهم مؤلفاته، حيث تناول فيه تصنيف الحيوانات وصفاتها وعجائبها. أنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٥، بيروت ١٩٩٣م، ص ٢١٠١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، بيروت ١٩٦٨م، ص ٤٧٠؛ طه الحاجري: الجاحظ، حياته وآثاره، القاهرة ١٩٧٦م، ص ٧٨.

(٢) الدميري: هو كمال الدين (أبو البقاء ابن محمد بن موسى بن عيسى بن علي الملقب بالدميري) نسبة إلى دميرة بالقرب من سمنود بمحافظة الغربية في مصر. ولد الدميري في القاهرة عام ١٣٤١م/٧٤٢هـ، وتوفى في ١٤٠٥م/٨٠٨هـ. والدميري متعدد المعارف والعلوم. وقد تتلمذ فى الأزهر وصار أستاذاً فيه. وأهم كتبه كتاب "حياة الحيوان الكبرى" والذي جمعه من ٥٦٠ كتاباً و ١٩٩ ديوان شعر. أنظر: ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٣٤٨؛ المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، جـ١،ق١، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٢؛ عادل محمد الحجاج: موسوعة أعلام العرب فى علوم الحيوان والنبات، عمان ٢٠٠٥م، ص ص ١٣٧-١٣٩.

(3) Fulcheri Carnotensis, Historia Hierosolymitana (1095-1127), Ed. Hagenmeyer (H.), III. XLIX. 1, Heidelberg 1913, pp. 822,23; والترجمة العربية في، فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، عمان ١٩٩٠م، ص ٢٤٢. **والجدير بالذكر** أن هذه الدراسة اعتمدت بشكل رئيسي على النسخة اللاتينية التي حققها هاجنمير عام ١٩١٣م، وليس على الترجمة الإنجليزية التي ترجمتها فرانسيس رايان، حيث أن هذه النسخة الانجليزية خالية من أية تعليقات عن تطرق فوشيه إلى البيئة الحيوانية في كتابه، حتى تعليقاتها على

بقية أجزاء الكتاب جاءت محدودة وضيقة للغاية. وذلك على العكس من النسخة التي حققها هاجنمير، حيث أن هذا الأخير لم يترك نقطة صغير أو كبيرة ذكرها فوشيه إلا وعلق عليها، وخاصة فيما يخص كافة أنواع الحيوانات التي ذكرها فوشيه. عن هذه النسخة أنظر: Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, 1095-1127, trans. Francis Rita Ryan, ed. Harold S. Fink, 1969.

(4) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 4, P. 779; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٩.

(5) السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٢م، ص٣٧، ٣٨؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب، القاهرة ٢٠١٥م، ص ٤٩٦.

(٦) بلدوين البويوني: فارس صليبي شارك في الحملة الصليبية، وتولى كونتية الرها من ١٠٩٧م حتى ١١٠٠م. ثم صار ملكاً لمملكة بيت المقدس الصليبية (١١٠٠ – ١١١٨م). وقام بلدوين بدور بارز في الحملة الصليبية الأولى، وخاصة في تأسيس إمارة الرها الصليبية ثم في وضع أسس مملكة بيت المقدس الجديدة. أنظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ١، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٩١م، ص ص ٣٥٥-٣٦١؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ١١٠٠-١١١٨ م/٤٩٤-٥١٢ هـ، القاهرة ٢٠٠٨م،ص ص٣٥-٤٥؛ محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص ص ٣٦٢-٣٦٤.

(7) Murray (A. V.), The Crusades: An Encyclopedia, 4 vols, California, 2006, pp. 489,490.

(8) Fulcheri, Historia, I. V. 12, p.153; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٤٠؛ Murray (A. V.), Op. Cit, p. 490,

(٩) سولينوس: هو جايوس يوليوس سولينوس Gaius Julius Slinus مؤرخ وجغرافي روماني عاش في منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً. وليس هناك معلومات عن حياته الخاصة. أما مؤلفاته فلم يبقى منها سوى واحد هو "خلاصة الجغرافية"، والذي طبع في العصور الوسطى تحت عنوان "مجموعة المذكرات Collectanea rerum memorabilium". واعتمد في هذا الكتاب

بشكل كبير على كتاب التاريخ الطبيعي للمؤرخ الروماني بليني الأكبر Pliny the Elder الذي عاش في القرن الأول الميلادي. أنظر: Smith (W.), Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Vol. III, London, 1972, pp. 856,57.

(10) Fulcheri, Historia, I. VI. 10, p.162; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٤١.

(11) Fulcheri, Historia, II. XXXIV. 1, pp.503, 4; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٤٠.

(12) Fulcheri, Historia, II. XXXVII. 3, p.748; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢١٨؛ Thomas (D.) and Other, Christian-Muslim Relations. A bibliographical History, Vol. 3, (1050-1200), Boston, 2011, P. 406.

(13) Fulcheri, Historia, II. XI. 6, pp. 410,11; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١١٧.

(14) Fulcheri, Historia, II. XI. 13, p.414; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١١٨.

(15) Murray (A. V.), Op. Cit, p. 489; أما عن اقتباسه بعض الخرافات من المصادر الكلاسيكية فنجدها في: Fulcheri, Historia, III. XI. 7, p. 651; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٩٣.

وكذلك في: Fulcheri, Historia, III. XXVIII. 1, p. 696; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٠٧.

(١٦) المؤرخ المجهول Anonymous: فارس ومؤرخ صليبي كان ضمن جيش بوهيموند النورماني. ولا يعرف عنه سوى ذلك. وله كتاب واحد هو "الجستا Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum". وقد تناول فيه تاريخ الحملة الصليبية الأولى حتى عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ: أنظر: محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص ٤٩٩؛ وللمزيد عن المؤرخ المجهول، أنظر: Anonymous, The Deeds of the Franks and the Other Pligrims to Jerusalem, Trans. Hill (R.), London, 1962.

(17) Fulcheri, Historia, III. LIX. 2, note (7), p. 812; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٣٩، وكذلك ترجمة قاسم عبده قاسم وهى، فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠١م، حاشية رقم (١)، ص٣٠٨.

(18) Murray (A. V.), "National Identity, Language and Conflict in the Crusades to the Holy Land, (1096-1192)", in Kostick (C.),The Crusades and the Near East: Cultural Histories,New York,2011, pp. 107-130.

(١٩) جودفري البويوني: أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وقد ولد في النصف الثاني من القرن ١١م. وهو ابن يوستاس الثاني Eustace II كونت بويون. وعقب سقوط القدس في يد الصليبيين عام ١٠٩٩م تم انتخابه كأول ملك للملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٠٠م). وتوفى جودفري عام ١١٠٠م ودفن في كنيسة الضريح المقدس بالقدس. أنظر: Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, History of the Journey to Jerusalem, ed. and trans. Susan B. Edgington, II: 1, note (3), Oxford Medieval Texts, 2007, pp. 60-1 ; Aube (P.), Godfroy de Bouillon, Paris, 1985; سرور عبد المنعم: جودفري دي بويون حاكماً للكيان الصليبي ١٠٩٩ - ١١٠٠م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد (٢٤)، عام ٢٠٠٤م، ص ص٢٢٩ - ٢٣٢؛ محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص٣٨٨.

(20) Geary (P. J.), Reading in Medieval History: The Later Middle Ages, Vol. 2, University of Toronto Press, 2010, p. 394.

(21) Fulcheri, Historia, II. V. 3, p. 377; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٠٩.

(22) Fulcheri, Historia, II. XXXIV. 3, p. 505; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٤٠.

(23) Fulcheri, Historia, III. LII. 2, p. 798; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٣٥.

(24) Fulcheri, Historia, III. LIX. 2, p. 812; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٣٩.

(25) Fulcheri, Historia, III. LIX. 4, 5, pp. 814, 15; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤٠.

(٢٦) ذكر فوشيه ١٠ أنواع من النباتات في كتابه، وهى:

١- قصب السكر، Fulcheri, Historia, I. XXXIII. 10, pp. 329, 30.

٢- أعشاب البحر: Fulcheri, Historia, II. V. 5, p.379.

٣- الخربق الأسود: Fulcheri, Historia, II. V. 1, pp. 376, 77.

٤- النخيل: Fulcheri, Historia, II. V. 4, pp. 378, 79.

٥- شجر الحور: Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777.

٦- شجر البندق: Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777.

٧- شجر البيلسان: Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777.

٨- الآس البري: Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777.

٩- شجر القيقب: Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777.

١٠- شجر الغر: Fulcheri, Historia, III. XLIX. 12, p. 782.

وهذه الأنواع موجودة في الترجمة العربية بالترتيب، أنظر: فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص ٨١، ١٠٩، ٢٢٨، ٢٣٠.

(٢٧) عن هذه الأنواع من النباتات غير المعروفة بالنسبة لفوشيه، أنظر: Fulcheri, Historia, II. V. 6, p.379; 8, pp.380, 81; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٠٩.

(28) Rao (D. B.), Animal Kingdom, New Delhi, 1995, pp.7-10; بيتر. هـ. ريفن وآخرون: علم الأحياء، ترجمة وزارة التعليم العالي السعودية، المملكة العربية السعودية ٢٠١٤م، ص ص٦٢١ - ٦٣٥.

(٢٩) كربوغا قائد عسكري تركي تولى حكم الموصل في شمال العراق بين عامي ١٠٩٥م/٤٨٨هـ و ١١٠٢م/٤٩٥هـ. وبعد وصول الصليبيين لبلاد الشام. عام ١٠٩٧م/٤٩٠هـ قاد كربوغا جيشاً ضخماً من الموصل حتى وصل إلى أنطاكية وحاصر الصليبيون بداخلها، ولكنه فشل في هذا الحصار، وفر جنوده من أمام أسوار أنطاكية. أنظر: Fulcheri, Historia, I. XIX. 4, note (7), p.242؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميد روز، بيروت ١٩٠٨م، ص ص١٢٦، ١٢٧م؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص١٢٠، ١٢١م.

(30) Fulcheri, Historia, I. XXIII. 4, p.256, 4; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٦٣.

(31) Kitto (J.), Palestine: The Phyysical Geography and Natural History of the Hole Land, London, 1841, p. cccxci; Tristram (H. B.), The Survey of Western

Palestine, London, 1884, pp. 5,6; Castelló (J. R.), Bovides of the World: Antelopes, Gazelles, Cattle, Goats, Sheep and Relatives, Princeton University Press, 2016, p.129.

(٣٢) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٣، تحقيق ابراهيم صالح، دمشق ٢٠٠٥م، ص ص٢٩٤ – ٣٠١.

(٣٣) آقسنقر البرسقي هو قسيم الدولة آقسنقر البرسقي، ولاه السلطان محمد بن ملكشاه على الموصل عام ١١١٤م ثم عزله بعد ذلك. وعاد مرة أخرى لحكم الموصل عام ١١٢١م. وتعرض آقسنقر للاغتيال على يد الحشاشين من عناصر الاسماعيلية النزارية أثناء آدائه لصلاة الجمعة في ٢٦ نوفمبر ١١٢٦م. أنظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٤؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص ص ٥١، ٥٢..

(٣٤) أشدود أو أسدود هى مدينة قديمة بناها الكنعانيون، وهى تقع شمالي غزة وجنوبي يافا. وتطل على البحر المتوسط. وقد خضعت لحكم الآشوريون ثم المصريون الفراعنة، ثم خضعت لحكم الرومان الذين أعادوا بنائها عام ٥٥ ق.م. وبعد الفتح العربي حضعت للحكم العربي الاسلامي ثم للحكم الصليبي بعد الغزو الصليبي لبلاد الشام. وقد أخذت في التقهقر في الحجم والمكانة حتى صارت قرية صغيرة عام ١٩٤٦م. أنظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ق٢،كفر قرع (فلسطين) ١٩٩١م، ص ص ١٩٢ – ١٩٨.

(35) Fulcheri, Historia, III. XVIII. 7, p.668; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٩٧.

(36) Tristram (H. B.), Op. Cit, p. 20.

(37) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(38) Kitto (J.), Op. Cit, pp. ccclxxxiv – ccclxxxv; مجلة البيئة والتنمية، عدد (١٠)، يناير ١٩٩٨م، ص ص٢٦-٢٩. .

(39) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(40) Tristram (H. B.), Op. Cit, p. 10.

(41) Kitto (J.), Op. Cit, pp. ccclxxiv.

(42) Fulcheri, Historia, III. XVIII. 7, p.668; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٩٧.

(43) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p.777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(44) Kitto (J.), Op. Cit, pp. ccclxvi – ccclxvii; إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، بيروت ١٩٦٥م، ص٨٣.

(٤٥) الدميري: المصدر السابق، جـ٢، ص٧١٦؛ Tristram (H. B.), Op. Cit, pp. 19,20.

(٤٦) الموضع الأول: Fulcheri, Historia, II. LIV. 1, pp.586,87; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٤٥.

الموضع الثاني: Fulcheri, Historia, II. LX. 2, pp.602,3; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٦٠.

(٤٧) تناول الدكتور محمد مؤنس عوض حوادث إغارات أسراب الجراد على بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في دراسة رائعة. أنظر: محمد مؤنس عوض: إغارات أسراب الجراد وأثرها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية – دراسة عن المرحلة من ١١١٤م – ١١٥٩م، القاهرة ٢٠٠٢م..

(48) Fulcheri, Historia, II. LX. 2, p.602; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٦٠.

(٤٩) أشرف قدح: أسرار الحشرات، ضمن سلسلة من أسرار القرآن، عدد (٣)، دمشق ٢٠٠٩م، ص٥.

(50) Fulcheri, Historia, II. LX. 2, p.603; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٦٠.

(٥١) آمر إبراهيم توفيق: مخاطر الجراد الصحراوى – الحقيقة والخيال، مجلة أسيوط للدراسات البيئية، عدد (٣٩)، يناير ٢٠٠٤م، ص ص ١٦–١٨.

(52) Fulcheri, Historia, II. LX. 3, p.603; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٦٠.

(٥٣) آمر إبراهيم توفيق: المرجع السابق، ص ص ١٥–١٧.

(٥٤) متى الرهاوي: مؤرخ وراهب ولد في الرها، وعمل رئيساً لأحد أديرتها. ولا يعرف الكثير عن حياته، إلى أنه يقال بأنه شهد حصار عماد الدين زنكي للرها عام ١١٤٤م/٥٣٨هـ، ويقال أيضاً أنه

قتل في أثناء هذا الحصار. وكان متى شاهد عيان للكثير من الأحداث الصليبية التي وقعت في إمارة الرها، وكذلك تطور العلاقات الأرمينية – البيزنطية. أنظر: علية الجنزوري: إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٨٦م، ص١١؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص ٦٠٧، ٦٠٨.

(55) Mathew of Edessa, Armenia and the Crusades: Tenth to Twelfth Centuries : the Chronicle of Matthew of Edessa, trans. From armenian by. Ara Edmond Dostorian, University Press of America, 1993, p. 89.

(56) Fulcheri, Historia, II. LII. 3, p.578; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ١٥٤.

(٥٧) آنا كومنينا: مؤرخة بيزنطية ولدت عام ١١٥٣م. وهى ابنة الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I (١٠٨١ – ١١١٨م). وتعلمت آنا تعليماً راقياً، ودرست الفلسفة والآداب والفنون. ودخلت في صراعات سياسية على العرش مع شقيقها حنا كومنين John Comnenus. وانتهى بها الأمر أن نفاها شقيقها في أحد الأديرة حتى وفاتها. ولكها كتاب وحيد هو ألكسياد Alexiad، تناولت فيه سيرة حياة أبيها الإمبراطور ألكسيوس. أنظر: حسن حبشي: مقدمة كتاب ألكسياد ضمن كتاب آنا كومنينا: ألكسياد، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ص٧-٢٢؛ دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ص ١٨٤، ١٨٥.

(٥٨) آنا كومنينا: ألكسياد، ص٣٨٨.

(59) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 1, p.778; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(60) Mallon (D. P.) and other, Antelopes Part 4: North Africa, The Middle East and Asia: Global Survey and Regional Action Plans, Switzerland, 2001, pp. 248,9; إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص٥٢٣. وللمزيد عن المها العربي، أنظر: Vincent (P.), Saudi Arabia, An Environmental Overview, London, 2008, p. 261.

(61) Kitto (J.), Op. Cit, p. cccxciii.

(62) Ibid.

(٦٣) مجلة بيئتنا، العدد (١٥٦)، ديسمبر ٢٠١٢م، ص ص ٣٢، ٣٣.

(٦٤) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٣، ص٧٣٧.

(٦٥) يوشع براور: الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)، ترجمة عبد الحافظ البنا، القاهرة ٢٠٠١م، ص٤٢٣.

(66) Fulcheri, Historia, III. XLVII. 1, pp. 775,6; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(٦٧) حمدي محمد فايق: الإنتاج التجاري للحمام، الإدارة العامة للثقافة الزراعية، القاهرة، د.ت، ص١٣.

(٦٨) رضوان: هو رضوان بن تتش، الابن الأكبر للملك السلجوقي تتش. ولد رضوان عام ١٠٨١م/٤٧٣هـ. وتولى حكم حلب شمالى الشام عام ١٠٩٥م. ودخل في صراع مع أخيه دقاق صاحب دمشق حتى عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ. ولم يكن رضوان متعاوناً مع الحكام المسلمين. وتوفي عام ١١١٣م/٥٠٧هـ. أنظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص ص٧١، ٧٢.

(٦٩) أعزاز: مدينة في شمالي سوريا، تقع في منطقة سهلية تسمى سها أعزاز. وذكرها ياقوت الحموي باسم عزاز. ولقد وقعت في يد الصليبيين ثم حررها صلاح الدين عام ١١٧٥م/٥٧١هـ. وحديثاً اصبحت أعزاز مدينة كبيرة في شمالي سوريا، ويبلغ عدد سكانها نحو ٧٥٠٠٠ نسمة. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، ص١١٨.

(70) Albert of Aachen, Historia, V: 9, pp. 349–351.

(71) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 3, pp. 778,9; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(72) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 4, p. 779; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٩.

(٧٣) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص ص٥٣٦ – ٥٣٩.

(٧٤) نهر الزرقاء أو نهر التمساح: نهر في فلسطين يصب في البحر المتوسط بالقرب من قيسارية. وقد سماه الرومان باسم "نهر التمساح". وفي أوائل القرن العشرين عثر على تمساح في وادي نهر الزرقاء، وكان طوله يبلغ نحو ٣.٢ متر. ويبدو أن هذا كان آخر العهد بهذا الحيوان في نهر الزرقاء. أنظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ق١، ص ص٣٣، ٣٤.

(75) Kitto (J.), Op. Cit, pp. cxcii, ccccxii; Tristram (H. B.), Op. Cit, pp. 155,6; مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١،ص٣؛جـ٧، ص ص٤٦٤، ٤٦٥.

(٧٦) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ق١، ص٣٤.

(٧٧) الأب هنري لامنس اليسوعي: تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، جـ، ص ص٢٠٢، ٢٠٤؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ١، ق١، ص٣٣.

(78) Fulcheri, Historia, III. LXII. 1, p. 822; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤٢.

(٧٩) إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص٢٢٣.

(٨٠) جوناثان بيرت: الجرذ، التاريخ الطبيعي والثقافي، ترجمة معن أبو الحسن، أبو ظبي ٢٠١٠م، ص١٢٤.

(81) Fulcheri, Historia, III. LXII. 1, note (1), p. 822.

(٨٢) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص ص٦٢٣ - ٦٢٧.

(83) Fulcheri, Historia, III. LXII, p. 823; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤٢.

(84) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(٨٥) نها الشرنوبي: حيتان وأسماك قرش الساحل الشمالي، جريدة الأهرام، عدد (١٢)، يوليو ٢٠١٦م.

(86) Jardine (W.), The Naturalist'sLibrary, vol. xxvi, Dublin, 1834,pp. 33-34; وللمزيد من المعلومات عن القروش والحيتان، أنظر: Leatherwood (S.) and others, "Whales, Dolphins and Porpoises of Western North Atlantic: A Guide to Their Identification", NOAA Technical Report NMFS CIRC-396, pp. 1-10.

(87) Solini (Ivlii), Collectanea Rerum Memorabilivm, ed. By. Theodor Mommsen, Berolini, 1864, pp. 42-52; وقد نوه زياد العسلي عن ذلك في ترجمته لمصدر فوشيه. أنظر: فوشيه: تاريخ الحملة، هامش (٢٣٠)، ص٢٥٥.

(88) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(٨٩) ستيفن باركر:المملكة الحيوانية والبيئة والأسماك (السمك الملائكي وأسماك القرش ذات الأفواه الضخمة وأنواع أخرى كثيرة)، ترجمة قسم الترجمة بدار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة ٢٠١١م، ص٨؛ وللمزيد عن أسماك الجلكي، أنظر: Stewart (K.), Freshwater Fishes of Manitoba, University of Manitoba Press, 2007, p. 36.

(٩٠) هناك بحث رائع للدكتور محمد مؤنس عوض عن الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، تناول فيه دراسة الأسماك وأنواعها ومصائدها في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣م. عن هذه الدراسة أنظر: محمد مؤنس عوض: الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية (بحوث ودراسات)، تحرير محمد مؤنس عوض، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ص١٠٥-١٣٧.

(91) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(٩٢) أشار كيتو، مؤلف كتاب "فلسطين: الجغرافية الطبيعية والتاريخ الطبيعي للأراضي المقدسة"، إلى وجود غراب العقعق في فلسطين. أنظر: Kitto (J.), Op. Cit, p. ccccii; كما أشار ترسترام، مؤلف كتاب "مسح الجزء الغربي من فلسطين، دراسة في حيوانات ونباتات فلسطين"، إلى وجود هذا الغراب في فلسطين. أنظر: Tristram (H. B.), Op. Cit, p.75.

(٩٣) شفيق مهدي: موسوعة طيور عربية، بغداد ١٩٨٨م، ص ص٦٦، ٦٧؛ وللمزيد عن غراب العقعق، أنظر: Harrison (C.) and Green Smith (A.), Birds of the World, New York, 1993, pp. 384-392.

(94) Fulcheri, Historia, III. XLVIII. 2, p. 777; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(95) Harrison (C.) and Green Smith (A.), Op. Cit, p. 187.

(96) Podulk (S. R.) and Others, Handbbok of Birds Biology, Princeton University Press, 2004, p. 593.

(97) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 2, p. 778; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٨.

(98) Eberhart (G. M.), Mysterious creatures : a guide to cryptozoology, California ABC-CLIO, 2002, p. 101; Lurker (M.), The Routledge Dictionary of Gods and Goddesses, Devils and Demons, London, 2004,p.43.

(٩٩) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٣، ص ٦٨١؛ إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص٣٨٦.

(100) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 1, note (5), p. 778.

(١٠١) فوشيه: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص٢٩٣.

(١٠٢) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت ١٩٨٧م، ص٣٣٣.

(103) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 5, p. 779; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٢٩.

(104) Triefeldt (L.), Plants and Animals, California, 2008, p.35; وللمزيد عن فرس النهر، أنظر: Widmayer (P. E.), The Strongest Animals in the World are Herbivores, Indiana, 2014, p.13; بيتر. هـ. ريفن وآخرون: علم الأحياء، ص٥٢٠.

(١٠٥) إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص٢٣٥.

(١٠٦) عبد اللطيف البغدادي: رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاعدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة ١٩٩٨م، ص٨٦.

(١٠٧) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٣، ص ص٤٠٧ - ٤١٠.

(١٠٨) خصص فوشيه الفصل رقم (٦٠) من الكتاب الثالث من تاريخه، وهذا الفصل بدوره مقسم إلى (٩) فقرات. أنظر: Fulcheri, Historia, III. LX. 1-9, pp. 815-819; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ص٢٤٠، ٢٤١.

(١٠٩) متى (١٠: ١٦)؛ وهذه العبارة موجودة عند فوشـــيه: Fulcheri, Historia, III. XLIX. 7, p. 817; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤٠.

(110) Fulcheri, Historia, III. LX. 5, p. 817; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤١.

(111) Wallach (V.) and Others, Snakes of the World: A Catalogue of Living and Extinct Species, Florida, 2014, p.328.

(112) Fulcheri, Historia, III. LX. 5, note (13), p. 817.

(113) Fulcheri, Historia, III. LX. 4, p. 816; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤١.

(114) Wallach (V.) and Others, Op. Cit, pp. 152,3.

(115) Mores (M. A.), Encyclopedia of Deserts, University of Oklahoma Press, p. 108.

(116) Fulcheri, Historia, III. LX. 5, p. 817; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤١.

(117) Wallach (V.) and Others, Op. Cit, p. 541.

(118) Fulcheri, Historia, III. LX. 5, note (15), p. 817.

(119) Solini (Ivlii), Collectanea Rerum Memorabilivm, c.xxvii. 33, 2, 4, p. 123.

(120) Fulcheri, Historia, III. LX. 6, p. 817; فوشيه: الاستيطان الصليبي في فلسطين،ص٣٠٩؛ فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤١.

(121) Lewis (Ch. J.), A New Latin Dictionary, Oxford University Press, 1879, p. 107; Wallach (V.) and Others, Op. Cit, p. 786,7.

(122) Noguchi (H.), Snake venoms, an investigation of venomous snakes with special reference to the phenomena of their venoms, Washington, 1909, p. 36; Wallach (V.) and Others, Op. Cit, p. 18.

(123) Fulcheri, Historia, III. LX. 6, note (18), p. 817. أما داء الفيل أو الفلاريا فاسمه العلمي Lymphatic filariasis وهو داء تسببه لدغات بعض الحشرات، حيث تحدث لدغاتها تليف

في الأنسجة، مما يسبب تورم للعضو الحادث فيه التليف بشكل كبير. فالقدم البشري المصاب يصبح كقدم الفيل في الشكل والحجم. وهذا هو السبب في اطلاق اسم "داء الفيل" علي هذا الداء. أنظر: Freedman (D. O.), Immunopathogenetic Aspects of Disease Induced by Helminth Parasites, Basel: Karger, 1997, pp. 125,6.

(124) Stephenson (J.), Medical zoology, and mineralogy; or, Illustrations and descriptions of the animals and minerals employed in medicine, and of the preparations derived from them: including also an account of animal and mineral poisons, London, 1832, pp. 115,6; Catalogue of the specimens of snakes in the collection of the British museum, London, 1849, pp. 61,2.

(125) Fulcheri, Historia, III. LX. 6, note (19), p. 817.

(126) Solini (lvlii), Op. Cit., p. 123.

(١٢٧) إيزيدور الإشبيلي (٥٦٠-٦٣٦م): مؤرخ أسباني تولى أسقفية إشبيلية لفترة. وقام بعقد مجمعات دينية مشهورة في التاريخ مثل مجمع إشبيلية عام ٦١٨م، وجمع طليطلة عام ٦٣٣م. وهى مجمعات دينية كان لقوانينها تأثير في تشكيل الدستور الأسباني فيما بعد. وكان إيزيدور كاتباً مؤثراً ومؤلفاً غزير الانتاج وواسع الاطلاع. وأهم أعماله كتاب بعنوان "Etymologiae" والذي عرف فيما بعد بكتاب "الأصول". أنظر: Johnston (W. M.), Encyclopedia of Monasticism, New York, 2000, p. 667,8.

(128) Grant (R. M.), Early Christians and Animals, New York, 1999, p. 141.

(١٢٩) كلود سوميز (١٥٨٨-١٦٥٨م): عالم ومؤرخ فرنسي، تعلم حتى صار أستاذاً في جامعة ليدن للدراسات الكلاسيكية. وتزودنا مؤلفات سوميز بمعلومات قيمة عن الحركة العلمية في عصره. وتعلم سوميز العربية لتساعده في دراسته لكتاب سولينوس في التاريخ الطبيعي، والذي وضعه عام ٦٢٩م تحت عنوان "Pliniane exercitationes in Solinum". أنظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، بيروت ١٩٩٣م، ص٣٥٧.

(130) Berger de Xivrey (J.), Traditions tératologiques ou Récits de l'Antiquité et du Moyen-Âge en Occident, sur quelques points de la fable, du merveilleux et de l'histoire naturelle. Paris, 1886, p. 238.

(131) Fulcheri, Historia, III. LX. 8, p. 818; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤١.

(132) Owen (Ch.), An Essay Towards A Natural History of Serpents, vol.1, London, 1929, pp. 70,1; Wallach (V.) and Others, Op. Cit., p. 42.

(133) Fulcheri, Historia, III. LX. 8, note (25), p. 818.

(134) Fulcheri, Historia, III. LX. 8, p. 818; فوشيه: تاريخ الحملة، ص ٢٤١.

(135) Wallach (V.) and Others, Op. Cit, pp. 26,7.

(١٣٦) لوكانوس (٣٩-٦٥م): هو الشاعر الروماني ماركوس إينيوس لوكانوس Marcus Annaeus Lucanus صاحب ملحمة "فارساليا" الشهيرة، والتي وصف فيها الحرب الأهلية الرومانية بين يوليوس قيصر وبومبي. وقد بقي منها نحو ١٠ أجزاء. وهي تمتاز بقوة الأسلوب وقسوته أحياناً. وكثر فيها الاستطراد، وتغلب عليها المبالغة. ولكنها تفيض حيوية في بعض مواضعها، مما أكسبها رونقاً وروعة، فحققت لمؤلفها شهرة كبيرة،قديماً وحديثاً. أنظر: Duff (J. D.), Lucan: With an English Translation, The civil war, books I-X (Pharsalia), Harvard University Press, 1928, p. 559; عبد الله خليل هيلات: الموسوعة الأدبية العالمية، الأردن ٢٠١٢م، ص٣١٥.

(137) Claude Saumaise, Claudii Salmasii Plinianæexercitationes in Caji Julii Solini Polyhistora, vol.2, Utrecht, 1689, p. 241.

(138) Fulcheri, Historia, III. LX. 8, note (26), p. 818.

(139) Fulcheri, Historia, III. LX. 8, p. 818; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤١.

(140) Clark (W. B.), Medieval Book of Beasts : The Second-Family Bestiary. Commentary, Art, Text and Translation, Boydell Press, 2006, p. 198; Wallach (V.) and Others, Op. Cit, pp. 342,3.

(141) Fulcheri, Historia, III. LX. 8, note (27), p. 818.

(142) Shea (M. T.), Venomous Snakes of the World, Princeton University Press, 2007, p. 104.

(143) Fulcheri, Historia, III. LX. 7, p. 818; فوشيه: الاستيطان الصليبي، ص٣٠٩..

(144) Solini (Ivlii), Op. Cit., 7.15, p. 58, 122; 30: 27, p. 135; 33.15, p. 152, 263.

(145) Wrobel (M.), Elsevier's Dictionary of Reptiles,Oxford, 2004, pp. 539,618.

(١٤٦) إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ١، ص٢٩٩؛ أشرف عمر سمور:كيف تحيا الزواحف، بيروت ١٩٩٥م،ص ص٤، ٣١. وللمزيد عن الحرباء، أنظر: Cooke (F.), The Encyclopedia of Animals: A Complete Visual Guide, University of California Press, 2004, p.379.

(147) Fulcheri, Historia, III. XLLX. 11, note (38-42), p. 782.

(١٤٨) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٢، ص ص٢٦ - ٤٠.

(١٤٩) ذكر الجاحظ الحرباء في كتابه الحيوان في المواضع التالية: الجاحظ: الحيوان، جـ٤، ص ص ١٤٤، ١٤٥؛ جـ٣، ص٢٥٦؛ جـ٤، ص ص١٠٨، ١٤٤؛ جـ٥، ص٣٢١؛ جـ٦، ص ص٢٠، ٢١، ١٤٣، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٣.

(150) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 12, p. 782; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٣٠.

(151) Fulcheri, Historia, III. XLLX. 12, note (44), p. 783.

(152) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 12, p. 783; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٣٠.

(153) Fulcheri, Historia, III. XL. 1, p. 815; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤٠.

(154) Lewis (Ch. J.), A New Latin Dictionary, p. 224; Pianka (E. R.) and Vitt (L. J.), Lizards: Windows to the Evolution of Diversity (Organisms and Environments), University of California Press, 2006, pp. 24,5.

(155) Fulcheri, Historia, III. XL. 2, pp. 815,6; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤١.

(156) Fulcheri, Historia, III. XL. 2, pp. 815,6; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤١.

(١٥٧) أشرف عمر سمور: المرجع السابق، ص٣١.

(158) Fulcheri, Historia, III. XL. 1,2, p. 815,6; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤٠، ٢٤١.

(١٥٩) فوشيه: الاستيطان الصليبي، حاشية رقم (١)، ص٣٠٨.

(160) Fulcheri, Historia, III. XL. 4, p. 816; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤١.

(161) Fulcheri, Historia, III. LX. 4, note (11), p. 816; Lissner (P. A.), Chi-thinking: Chiasmus and Cognition, University of Maryland, PhD Dissertation, 2007, pp. 198,9.

(162) Edwards (K.), Mitton and Natural World: Science and Poetry in Paradise Lost, Cambridge University Press, 1999, pp. 88,9.

(١٦٣) فوشيه: تاريخ الحملة، حاشية رقم (٣١٠)، ص٢٥٩.

(164) Fulcheri, Historia, III. LX. 7, p. 817; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤١.

(165) Fulcheri, Historia, III. LX. 7, note (21), p. 817; الدميري: حياة الحيوان لاكبرى، جـ١، ص ص٥٣٧، ٥٣٨؛ الأبشيهي: المستطرف في كا فن مستظرف، تحقيق محمد خير طعمة، بيروت ٢٠٠٨م، ص٤٨٩؛ Lewis (Ch. J.), Op. Cit., p. 1642.

(166) Fulcheri, Historia, III. LX. 7, note (22), p. 817; Lewis (Ch. J.), Op. Cit., p. 1026.

(167) Solini (Ivlii), Op. Cit., 27.33, p. 123.

فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤١. ;Fulcheri, Historia, III. LX. 7, p. 817 (168)

(١٦٩) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٢، ص ص١٥٠ - ١٨٦؛ إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص١٥٦.

وعن الفرق بين الحشرات ;Fulcheri, Historia, III. LX. 7, note (24), p. 817 (170) والعنكبيات، أنظر:

Kirby (W.) and Spence (W.), An Introduction to Entomology, or, Elements of the Natural History of Insects, vol.3, London, 1826, pp. 1-51; Johnson (J. E.), Aging and Cell Structure, vol.1, pp. 347-55.

(١٧١) منطقة هيركانيا: هي تلك المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين. والهيركانيون هم سكان هيركانيا. أنظر: Lewis (Ch. T.), Op. Cit., p. 873. ومعلومات فوشيه عن الهيركانيون نقلها عن سولينوس، أنظر: Fulcheri, Historia, III. XLIX. 8, note (29), p. 781.

(172) Baker (D. G.), and other, Mike the Tiger: The Roar LSU, Louisiana State University Press, 2003, p. 103; Tilson (R.), Tigers of the World: The Science Politics and Conservation of Ponthera Tigris, London, 2010, pp. 60,1.

(173) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 8, note (29,30), p. 781.

(١٧٤) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٤، ص ص٩٨-١٠٣.

(175) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 9, pp. 781,2.

(176) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 9, note (32-34), pp. 781,2.

(١٧٧) إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص ص٢٥٣، ٢٥٤.

فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٣٠. ;Fulcheri, Historia, III. XLIX. 10, p. 782 (178)

إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ١، ;Lewis (Ch. J.), Op. Cit., p. 81 (179) ص ص ١١٧، ١١٨.

(180) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 10, note (36), p. 782.

(181) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 10, note (37), p. 782.

(182) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 7, p. 814; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤٠.

(١٨٣) إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ١، ص١٥٥.

(184) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 7, note (22), p. 814.

(185) Fulcheri, Historia, III. XLIX. 7, p. 814; فوشيه: تاريخ الحملة، ص٢٤٠.

وهذه العبارة مقتبسة من الكتاب المقدس (متى ١٠: ١٦).

(١٨٦) هارون يحيى: الروعة في كل مكان، استانبول ٢٠٠٣م، ص٧٢؛ علي محمد علي: المحميات الطبيعية والسياحة البيئية في مصر، القاهرة ٢٠١٣م، ص٥٦.

(١٨٧) إدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، جـ٢، ص٣٢٨.